



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الحادي والعشرين

الدهر: مسائله، وعدم
تصرفه.

نص الحديث الحادي والعشرين

قال الله -تعالى- يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر؛ أقلب الليل والنهار [رواه البخاري: ٤٨٢٦، ومسلم: ٢٢٤٦].

وفي رواية: لا تقولوا: خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر، زاد مسلم: فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما [رواه البخاري: ٦١٨٢، ومسلم: ٢٢٤٦].

شرح الحديث الحادي والعشرين

رأس الأدب مع الله تعظيمه وتوقيره، ومن الأدب مع الله التأدب في الألفاظ، وهذا ما أرشد إليه هذا الحديث بعدم سب الدهر، فلا يقولن قائل: يا خيبة دهري! ويا لغدر الزمان! جار الزمان علي! عضنا الدهر بنابه!

وكان من عادة أهل الجاهلية إذا أصابتهم شدة أو مكروه أضافوه إلى الدهر وسبوه، وقالوا: يا خيبة الدهر! بؤساً للدهر! وتباً للدهر! ونحو ذلك، فيسندون الأفعال إلى الدهر ويسبونه، فكأن هذا الدهر عندهم هو الفاعل، وهو الخالق وهو الموجد، وهو المتسبب في كل هذه المآسي والكوارث، بينما الدهر مجرد ظرف زمان، ما له دخل

لا من قريب ولا من بعيد، الله هو الذي يفعل وهو الذي يقدر، كون هذا القدر حصل في الساعة الفلانية، الساعة الفلانية ما لها ذنب، كون المصيبة حصلت في اليوم الفلاني اليوم الفلاني ما له ذنب، كون الخسارة حصلت في الشهر الفلاني، الشهر الفلاني ما له ذنب، وهكذا...

لكن أهل الجاهلية لا يفقهون يسندون هذه الشرور والكوارث والخسائر والمصائب إلى الدهر وإلى الزمان وإلى الساعة وإلى اليوم وإلى الشهر وإلى السنة؛ فيلعنونها، ويسبوننها، ويشتمونها، ويقعون فيها، وهذه الشتيمة وراها عقيدة معناها أن في عندهم اعتقاد أن هذه الساعة، وهذا اليوم هو الذي فعل وإلا لما يسبوننها، فإذا سبوه رجع السب على الخالق لهذا الدهر ولهذا اليوم ولهذا الساعة والمقدر لهذا الحدث؛ فصار في ذلك أذية لله، فهذا معنى قوله: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر؛ لأن سب الدهر سيرجع في الحقيقة على خالق الدهر؛ لأن الدهر لا ذنب له، ولا فعل له، ولا تقدير له، ولا مشيئة له، مجرد ظرف، الساعة الفلانية ما علاقة الساعة؟ ما ذنبها؟ ما فعلها؟ ما تقديرها؟ ما مشيئتها؟ ما اليوم هذا؟ ما دخله؟ الزمان هذا تكلم عنه، الزمان والدهر والعصر ما دخلها؟ هل لها فعل؟ هل لها تأثير؟ هل لها تقدير؟ هل لها مشيئة توجد توقع؟ لا.

من الذي يوجد؟ الله، فالدهر وهو الزمان لا فعل له، بل هو مخلوق

من مخلوقات الله، يعني خلاص الله يسير الليل والنهار، وهذا الكلام في "أعلام الحديث" للخطابي و"معالم السنن" و"الاستذكار" لابن عبد البر و"شرح السنة" للبلغوي و"تعليق النووي على صحيح مسلم" و"فتاوى شيخ الإسلام" و"تفسير ابن كثير".

إذا رجعنا إلى أشعار العرب في الجاهلية سنجد طوام من هذا، يعني مثلاً يقول عنتر بن شداد يقول:

دهتني صروف الدهر، وانتشب الغدر

ومن ذا الذي في الناس يصفوله الدهر

وامتد التأثير إلى بعض المسلمين بعد ذلك، فيهم لوثات من الجاهلية، حتى قال أحدهم:

غدر الزمان بنا ففرق بيننا إن الزمان بأهله غدار

هذا لابن عنين.

ويقول أحد المعاصرين أطيّمش يقول:

لا تأمن غدر الزمان العادي من بعد نازلة بخير عماد

هيهات أن يصفو الزمان وخلقُه سقم الكرام وصحة الأوغاد

عاد الكرام من الأنام كأنه والحتف قد كان على ميعاد

شلت يد الدهر الخؤون فإنها ذهبت من العلياء بالأمجاد

ماذا سوى الدهر؟ ماذا سوى لك؟ ما دخله؟

فقال أحد الشعراء الأفاضل يرد على هؤلاء:

يا عاتب الدهر إذا نابَه لا تلم الدهر على غدره

الدهر مأمور له أمر وينتهي الدهر إلى أمره
 كم كافر أمواله جمته تزداد أضعافاً على كفره
 ومؤمن ليس له درهم يزداد إيماناً على فقره

وقال أيضاً شاعر آخر في الرد عليهم:

فما الرد بالجاني لشيء لحينه ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهر
 ولكن متى ما يبعث الله باعثاً على معشر يجعل مياسرهم عسراً
 لحينه يعني: هلاكه.

مفسد سب الدهر

قال ابن القيم -رحمه الله- في مفسد سب الدهر: فيها ثلاث مفسد
 عظيمة:

إحداها: سبه من ليس بأهل أن يسب، فإن الدهر خلق مسخر من
 خلق الله، منقاد لأمره، مذل لتسخيره، فسابه أولى بالذم، والسب
 منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر
 وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطى من
 لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق
 الرفعة، وحرّم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم
 الظلمة.

وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً، وكثير من الجاهل
 يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وافقت أهواؤهم حمدوا الدهر، وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر، قرب الدهر -تعالى- هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم للدهر مسبة لله، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى -كما في هذا الحديث- فسب الدهر دائرين أمرين لا بد له من أحدهما: إما سبه لله، أو الشرك به، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله، فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب من فعله فقد سب الله [زاد المعاد: ٣٢٣/٢-٣٢٤ بتصرف].

نحن الآن في جانب تعظيم الله ففي الحديث الماضي من تعظيم الله مطرنا بفضل الله ورحمته ومما ينافي تعظيم الله: مطرنا بنوء كذا وكذا.

وفي هذا الحديث مما ينافي تعظيم الله: سب الدهر، ومن تعظيم الله: الاعتقاد أن الله هو المقدر والخالق لكل الأشياء، بل حتى الزمن والدهر الله خالقه، فالله خالق الظرف، وما يحدث فيه، خالق الزمان، وخالق المكان، وخالق ما يحدث في الزمان وفي المكان -سبحانه-، هذا من تعظيم الله.

قوله: يؤذيني ابن آدم الأذية هل معناها أن هناك ضرر يلحق بالله ؟ لا، الأذية مثل الشتيمة الآن الذين يسبون الله هذه في اللغة سب الله أذية أذى، بس ما هو معناها أنه يتضرر من أذاهم؟ لا.

فقوله: يؤذيني ابن آدم هذه الأذية ما يلحقونه بالله من الشتم والتنقيص، لكنها لا تضر الله أبدًا، فالله أثبت أنهم يؤذونه كما في القرآن: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا** [الأحزاب: ٥٧]، لكن أذية الله لا يلحقه بها ضرر، ولا يمكن للمخلوق أن يبلغ أن يضر الله شيئًا؛ كما قال الله: **لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا** [محمد: ٣٢]، وقال: **وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا** [آل عمران: ١٤٤].

وفي الحديث القدسي: يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني فلو واحد عبد الله طيلة حياته ما ينفع الله بشيء، ولو واحد سب الله طيلة حياته ما يضر الله بشيء، هي اسمها في اللغة: أذية، لكن لا يعني أن الأذية تؤثر فيمن يؤذى، يعني بالنسبة لله ما في أي ضرر، نحن ممكن نتأثر إذا واحد آذانا نتأثر نفسيًا ماديًا جسديًا، يعني ممكن؛ لكن الله -عز وجل- مهما آذوه ما يضره، مهما آذوه لن يضره، ولا يضره.

قال: وأنا الدهر ماذا يعني أنا الدهر؟ هل من أسماء الله الدهر؟ هل الدهر هو الله؟

لا، الدهر هو الزمان، جملة: أنا الدهر اعتبرها من المشتبهات الآن، في القرآن في نصوص شرعية محكمات ومشتبهات، طيب المشتبهات يعني اعتبرها من المشتبهات، ما هو موقفنا من المشتبهات؟

أن نفسرها بالمحكمات الواضحات.
المشتبهات التي هي يعني التي تحتل أكثر من معنى، غير واضحة
لعامة الناس.

ما الذي يفسرها ما بعدها؟ قال: وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار.
إذن، ما تفسير: أنا الدهر أقلب الليل والنهار؟ يعني وأنا الدهر أقلبه،
وأنا الدهر أصرفه، يعني في تقديم وتأخير، وأنا أصرف الدهر، وأنا
أقلب الدهر، بس هي جاءت في العبارة هنا، وأنا الدهر أقلب الليل
والنهار، خلاص، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار، فتفسير
أنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار، هذا معناه.

إذن، أنا الدهر يعني: مدبر الدهر، مصرف الدهر: **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذِرُهَا بَيْنَ النَّاسِ** [آل عمران: ١٤٠].

ولذلك فسر بقوله بعده يعني اعتبر أن هذه جملة كذا متشابهة،
وإذا بتفسير جاءك في الجمل التي بعدها، يعني ما هي متروكة، ما هم
متروكين في حيرة.

مفسرة بيدي الأمر أقلب الليل والنهار فليس الدهر من أسماء الله،
وإن ذهب إلى بعض ذلك بعضهم، لكن هذا مرجوح، وليس بصحيح،
الدهر ليس من أسماء الله، لكن معناه أنه يقلب الدهر ويصرفه.

سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أن يقصد به الخبر المحض دون
اللوم، مثلاً يقول: تعبنا من شدة الحر، آذانا البرد، لا بأس، قال لوط
: **هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** [هود: ٧٧]، هذا مجرد وصف يوم عصيب، يعني أنه
شديد علينا، مثلاً ناس تقول: هذا يوم بادر، هذا يوم حار، هذا
صحيح، نحن الآن في شهر شدة الحر، لو قال واحد: هذا يوم حار،

كان اليوم حار شديد جدا، فيها شيء؟ لا.

هذا وصف، أنا الآن أصف اليوم أنه يوم حار؛ لأنه من أيام الصيف، وأنا صادق، ما سببت الدهر، أنا وصفت اليوم أنه في حرارة شديدة، وصفت الشهر هذا أنه شهر بارد، شتاء ثلج، مطر، وما أشبه ذلك، قال لوط: **هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** [هود: ٧٧]، إذن، هذه جائزة.

الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، وهو الذي يقلب الأمور، هذا شرك أكبر، وكفر عظيم.

الثالث: أن يسب الدهر ما يعتقد أن الدهر هو الفاعل، ويعتقد أن الله هو الفاعل، ويقول: إن الدهر هو ظرف حدوث الأشياء. إذن، لماذا تسبه أنت الآن لست كافرا ما دام تعتقد أن الله هو الفاعل، والدهر لا يفعل.

يعني لا تكفر، لكن ترى فعلك محرم، وفعلك ما فيه تعظيم لله، بل فعلك يؤدي إلى شيء خطير، فأنت لست مشركا كافرا، لكن ترى فعلك يؤدي إلى يعني شيء، عبارة خطيرة، يؤدي إلى سب الله، ليس هو سب الله، لكن يؤدي إلى، في فرق يؤدي إلى سب الله؛ لأنه في الحقيقة يعود على الله، السب هذا يعود على الله؛ لأن الدهر هذا ما له ذنب، فتروح على من الشتيمة، هذه تعود على من؟ على الفاعل الحقيقي. من هو الفاعل الحقيقي؟ هو الله.

القائل: لا يقول، أنا أقصد الله، لكن نقول انتبه يا أخي، انتبه وتب إلى الله، وأمسك لسانك، ولا تتكلم بهذا الكلام، ترى هذا الكلام نتيجته خطيرة مؤداه خطير.

وبهذا وصلنا إلى الحديث الثاني والعشرين -بإذن الله-.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد



الآن يبعون

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الثاني والعشرين

الشمس من عظيم خلق الله

نص الحديث الثاني والعشرين

فنحن الآن في الحديث الثاني والعشرين من أحاديث الأربعون في عظمة رب العالمين، عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** [يس: ٣٨] [رواه البخاري: ٣١٩٩، مسلم: ١٥٩].

وفي رواية لمسلم: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرساجدة؛ فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً؟

[رواه مسلم: ١٥٩].

شرح الحديث الثاني والعشرين



الكون كله خاضع لعظمة الله، وشاهد على وحدانيته - سبحانه - وقدرته، وعلى استحقاقه للعبادة، لا شريك له: **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** [فصلت: ١١]، فهذه الشمس بحجمها وحرارتها المحرقة خاضعة لله، ذليلة منقادة، خاضعة لله، وتسجد تحت العرش كل ليلة، ولا تطلع من المشرق حتى تستأذن ربها كل يوم، وهي في حال سجودها، فيأذن لها: **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** [يس: ٣٨]، مستقرها المكاني تحت العرش، وقد ثبت في الحديث عن أبي ذر قال: "سألت النبي ﷺ عن قول الله - تعالى -: **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** [يس: ٣٨] قال: **مستقرها تحت العرش**" [رواه البخاري: ٤٨٠٣، ومسلم: ١٥٩].

والشمس في الحقيقة أينما كانت فهي تحت العرش، وجميع المخلوقات كذلك؛ لأن العرش سقف المخلوقات، والعرش قبة لها قوائم تحمله الملائكة، وهو فوق العالم، يعني فوق السماوات والأرض، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك، والفلك مدار النجوم والكواكب، وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون من العرش؛ لأنها من المشرق، ثم تصبح في وسط السماء وسط السماء أقرب ما تكون إلى العرش، ثم تنزل مرة أخرى إلى المغرب فتكون أبعد ما تكون من العرش في وقت نصف الليل، فحينئذ

تسجد وتستأذن في الطلوع؛ كما دل عليه الحديث،

[ابن كثير، في التفسير: ٥١٢/٦].

وقيل في ذلك أيضاً: إلى مستقر لها إلى انتهاء سيرها عند انقطاع الدنيا وقيام الساعة فيبطل سيرها وتسكن حركتها، وتكور؛ وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني؛ كما قال تعالى: **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى** [الزمر: ٥]، ما هو الأجل المسمى؟ قيام الساعة، فالجريان مستمر كل يجري، لكن نهاية الجريان عند قيام الساعة، فتكور الشمس وتلف ويذهب ضوءها والقمر ويلقيان في النار.

طبعاً هذا خزي لعابديهما، وطبعاً جاء في الحديث: أن الشمس تدنو يوم القيامة من رؤوس الخلائق الحديث معروف. فالشمس لها أحوال، ولها وظائف، وفي وظائف في الدنيا، وفي وظائف للشمس بعد قيام الساعة.

ومن تأمل في عظمة هذه الشمس وما فيها من إتقان صانعها وخالقها وحكمته فإنه يسبحه، فهذه الشمس آية ساطعة دالة على قدرته تعالى كسطوعها، فيقولون: الآن حجمها مثل حجم الأرض مليون وثلاثمائة ألف مرة، وأنها تبعد عن أرض مائة وستين وخمسين مليون كيلو متر، وأن ضوء الشمس يقطع المسافة من الشمس إلينا في ثمانية دقائق، وأن درجة حرارة الشمس في أجزائها السطحية خمسة آلاف وستمائة درجة مئوية، وأما في باطنها فيقدرون: درجات الحرارة

بخمسة عشر مليون درجة مئوية، وهذه كافية لتبخير أي شيء على وجه الأرض في لحظات، وسبحان الله! هي بهذه الحرارة العظيمة والاشتعال، ويقولون في داخلها انفجارات مثل الانفجارات الهيدروجينية التي تبقىها مشتعلة باستمرار، وهي مع ذلك لا تنفجروا ولا تبرد، سبحان الله! لا تنفجر ولا تنطفئ، الاشتعال لو انفجرت خلاص تبخرت الناس على هذه الأرض، ولو انطفئت لغرقت الأرض في ظلام دامس، وهبطت درجة الحرارة فيها كما يقدرّون إلى مائتين وسبعين درجة تحت الصفر، ولتحولت الأرض إلى قبر جليدي، وانعدام الدفء والنور من الشمس يؤدي إلى قتل كل مظاهر الحياة على سطح الأرض، فمن الذي دبرها؟ من الذي دبر الشمس والقمر والنجوم لا تنفلت ولا تصطدم، والشمس لا تنفجر ولا تنطفئ؟ وهذا الحساب الدقيق، وانعكاس ضوء الشمس على سطح القمر يولد النور والضوء بحرارة، يعني الله قال: **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا** [يونس: ٥].

ما الفرق بين الضياء والنور؟

الضياء فيه حرارة، والنور بارد، ألا ترى أنه وصف توراة موسى بأنها ضياء، ووصف القرآن بأنه نور؛ لأن توراة موسى فيها فيها أشياء شاقة على بني إسرائيل، ثقيلة شاقة، القرآن فيه تخفيف من الله، ورحمة وتيسير، فكان مناسباً أن يصف التوراة بأنها ضياء، ويصف القرآن بأنه نور، وسبحان الذي أجراها بهذا الحساب الدقيق لا تتقدم ولا تتأخر،

كل يوم حساب دقيق: **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** [يس: ٣٨].

وطبعا جريانها فيه تحديد العبادات، فالشمس هي سبب طلوع الفجر ثم تطلع هي فيخرج وقت صلاة الفجر، فإذا غابت دخل وقت المغرب، فإذا غاب بقية ضوئها الشفق دخل وقت العشاء، فإذا استوت في كبد السماء فزالت عنه دخل وقت الظهر، وهكذا في ظلها ظل كل شيء مثله، ويدخل العصر، ومثليه يعني الاصفرار ودخول وقت الضرورة، وكذلك الوقت الذي لا يجوز الصلاة فيه اختيارا، وإنما هو وقت صلاة المنافقين إذا اصفرت الشمس.

على أية حال: هذه الشمس لها علاقة وثيقة بأوقات عبادتنا، يوميا. أما القمر له علاقة بأوقات عبادتنا شهريا في رمضان وخروجه، وذي الحجة، وهكذا..

فهناك عبادات مرتبطة بالأشهر، وعبادات مرتبطة بالأيام، والشمس والقمر: **لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ** [يونس: ٥].

سل الشمس عن حالها، قال تعالى: **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** [يس: ٣٨-٤٠].

سل الشمس من رفعها نارا ونصبها منارا، وأتاها معراجها

وهداها أدراجها، وأحلبها أبراجها ونقل في سماء الدنيا سراجها
[أحمد شوقي].

قال تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
[فصلت: ٣٧].

فضل في تعظيم الكواكب فئام من البشر؛ وعبدوها من دون الله.
وبعض البشريعبدون الأشياء لمنفعتهم فيعبدون الشمس والقمر.
وبعضهم يعبدون الأشياء لضخامتها وكبرها أو خوفاً منها، لكن الله
يقول: لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن
كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [فصلت: ٣٧].

وقد عرف الهدد هذه الحقيقة، فقال: وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ [النمل: ٢٤ - ٢٥].

هذا الحديث حديث سجود الشمس تحت العرش، والاستئذان
اليوم، وأنها تطلع في يوم من الأيام تطلع من مغربها تحبس ولا يؤذن
لها فتطلع من مغربها؛ أنكره وجحد به بعض الذين يحكمون عقولهم
وأهواءهم في النصوص، يسمون: مدرسة عقلانية، لكن والله ما
للعقل فيها نصيب.

بل هذه عقول عفنة، مهترئة، ضالة، منحرفة، يقولون: نرد
الحديث؛ لأنه يخالف العقل، وهو لا يخالف إلا عقولهم، الحديث في
الصحيحين.

ترد ماذا؟ ترد جبلا؟

وهؤلاء أتباع هذه المدرسة المنحرفة الذين يقدمون آراءهم على الكتاب والسنة، فإذا اصطدم النص برأيه جحد النص، وآراء البشر تختلف، ولذلك ممكن يقول: رأي هذا يوافق النص، ورأي هذا يخالف النص، ورأي هذا يقول: أنا أتفق معه جزئياً، وهذا لا أتفق معه أبداً، ومن هم! من هم! سبحان الله.

وهؤلاء يمتد عدوانهم إلى القرآن، يعني لا يقتصر عدوانهم على السنة النبوية الصحيحة، وإنكار أحاديث الصحيحين، بل يمتد إلى القرآن، وإذا جاءوا وقالوا يعني يدخل في العقل أن الشمس تسجد؟ لو سجدت توقفت عن الحركة، وهي لا تتوقف.

شف الغباء يعني عنده ما في سجود إلا بتوقف، أنت إذا كنت في الطائرة أنت تسجد، وأنت في حال الحركة، سبحان الله مساكين.

طبعا بعضهم ما هم مساكين، بعضهم من المجرمين حقيقة يتعمدون ذلك، يتعمدون التشكيك في النصوص، ورد النصوص، وضرب النصوص ببعضها، يعني هذا نوع من العدوان على الدين، يعني نوع من المعركة ضد الإسلام، فلماذا قلنا إن شرهم يتعدى إلى القرآن؟

لأن القرآن أثبت سجود الشمس، ماذا تقول في قوله تعالى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ** [الحج: ١٨] فسجود الشمس كل ليلة لا يعيق دورانها في سيرها، بل هي تسبح في الفلك، وتسجد لله تحت العرش، وهي في حال سيرها كما أخبر

الله - تعالى - ورسوله ﷺ، وأن هذا السجود يختص بها لا نعلم كيفيته: **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** [الأنبياء: ٣٣].

والمخلوقات كلها تحت العرش، فكونها تسجد تحت العرش لا يقتضي مفارقتها مدارها ولا فلکها، ولا توقفها عن سيرها، فهذه الشمس تجري وتسجد وهي تجري، وهذا الرجل يصلي على الدابة وهي تمشي به، فيسجد وهي تمشي.

ورد بعض الناس وجحدهم عندما يقولون بأرائهم هم: أين سجودها؟ ومتى؟ وكيف؟ وما رأينا؟ وما قسنا، والأجهزة والآلات؟ سبحان الله تسجد كل ليلة تحت العرش كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ وهي طالعة كما يقول شيخ الإسلام في "بيان تلبیس الجهمية" يقول: "تسجد وهي طالعة على جانب من الأرض مع سيرها في فلکها، وهي دائمة تحت العرش في الليل والنهار، بل وكل شيء من المخلوقات تحت العرش، لكنها في وقت من سيرها وفي مكان معين يصلح سجودها الذي لا يدركه الخلق، ولكن علم بالوحي وهو سجود يناسبها على ظاهر النص".

هذا كلام أهل الإيمان والعلم آمنا به كل من عند ربنا [آل عمران: ٧]. وقال الخطابي -رحمه الله-: "فليس لنا إلا التصديق والتسليم وليس في سجودها لربها تحت العرش ما يعوقها عن الدأب في سيرها، والتصرف لما سخرت له، سبحان الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين".

وهؤلاء الذين يسمون أنفسهم تارة أصحاب المدرسة التنويرية وأصحاب المدرسة العقلانية، والله ما عندهم نور ولا عقل، لا عندهم عقل صحيح، ولا عندهم نور، بل كما قال الله:

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ [يونس: ٣٩].

أما الشمس إذا طلعت من مغربها فهي من أشراط الساعة الكبرى؛ كما قال الله: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا [الأنعام: ١٥٨].

فإذا طلعت الشمس من مغربها فأنشأ الكفار إيماناً لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك فهو في خير عظيم، وإن كان مخلطاً فأحدث توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لم تقبل منه، وعليها يحمل قوله تعالى: أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا [الأنعام: ١٥٨] إذا كان مؤمناً من قبل وكسب في إيمانه خيراً وإلا لا يقبل منه أن يؤمن، ولا أن يتوب، فيكسب في إيمانه خيراً بعد طلوع الشمس من مغربها، خلاص صار الإيمان اضطرارياً؛ لأنه خلاص في شيء هائل خلاص شيء يعني يضطر الناس اضطراراً إلى الإيمان ما في اختيار؛ لهول ما يحدث، من الهول الذي يروونه خلاص؛ لأن هذه طلوع الشمس من مغربها بداية انفراط العالم العلوي خلاص التغيرات التي تحدث بعد ذلك وأشياء متلاحقة بعدين خلاص، ولذلك قال العلماء: "الضابط أن كل بر يحدث يكون السبب في إحداثه رؤية الآية، -يعني مثلاً رؤية عذاب- ولم يسبق من صاحبه مثله، لا ينفع سواء كان من الأصول أو الفروع، وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملاً به قبل رؤية الآية ينفع"

[السفاري، لوا مع الأنوار البهية: ١٣٦/٢].

أما ما جاء في حديث: ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه، وكُفي الناس العمل فقد رواه الإمام أحمد، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره، وجوّده في "البداية والنهاية"، وحسن إسناده محققو المسند

[رواه أحمد: ١٦٧١، وقال محققو المسند: "إسناده حسن"].

قال الإمام ابن مفلح -رحمه الله-: ليس المراد بهذا الخبر ترك ما كان يعملُه الناس من الفرائض، وكذا من النوافل قبل طلوع الشمس من مغربها، فيجب الإتيان بما كان يعملُه من الفرائض قبل ذلك، وينفعه ما يأتي به من الإيمان الذي كان يأتي به قبل ذلك، فقوله إذا كفي الناس العمل، يعني عملاً كانوا يفعلونه" [الآداب الشرعية: ١/ ١١٦، لابن مفلح].

وقد جاءت بعض الآثار عن السلف تفيد أن الصحف تطوى وتؤمر، والأجساد تشهد، جاء هذا في حديث عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: "إذا خرج أول الآيات طرحت الأقلام وحبس الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال" كما في تفسير الطبري، وكذلك رواه ابن أبي شيبه وعبد الرزاق من طريق الشعبي عن عائشة، لكن الشعبي -رحمه الله- لم يسمع من عائشة في قول عامة المحدثين كابن معين وابن المديني، وأبي حاتم والدارقطني والحاكم والعلائي، وغيرهم، وقال أبو داود: سمع، وقول الجمهور أرجح، ففيه علة.

فإذن، سيستمر الناس في أعمالهم الصالحة الذي كان عنده عمل صالح قبل طلوع الشمس يستمر عليه بعد طلوع الشمس، والذي ما كان عنده قبل ذلك ما ينفعه أن بعد طلوع الشمس يحدث أعمالاً صالحة أويتوب أو يؤمن.

هذا بالنسبة إذن لحديث سجود الشمس، وهو من الأحاديث الدالة على عظمة رب العالمين خالق هذه الشمس، وكيف أنها تخضع له، وكيف أنها تسجد تحت عرشه، وكيف أنها تستأذن، وكيف يحبسها الله في ذلك اليوم إذا أراد أن يحبسها حتى تطلع من مغربها، فيصيب الناس هول عظيم، تغشاهم الأهوال لما سيأتي بعد ذلك، ففي علامات لتغير العالم السفلي، وفي علامات لتغير العالم العلوي؛ الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، متقاربة، ففي أشياء بداية تغير العالم السفلي الذي هو التغيرات الهائلة، يعني أما أول تغير في العالم إذا صار طلوع الشمس من مغربها، خلاص يبدأ تغير العالم العلوي، تبدأ الاضطرابات الكونية التي تقوم بعدها الساعة، والناس يدخلون بعد ذلك في أمر عظيم، أمر مريع، خلاص لا طاقة لعقولهم في تحمله.



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظِيمُ الْعَالَمِينَ

الدرس الثالث والعشرين

العرش واستواء الله العظيم

نص الحديث الثالث والعشرين

قال: ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة الحديث رواه البيهقي في الأسماء والصفات، وصححه ابن القيم، والألباني في الصحيحة، وقد روي موقوفاً على مجاهد بإسناد صححه ابن حجر في الفتح، أما الذهبي - رحمه الله - فقد استنكره، والحديث فيه كلام، فيه نقاشات في موضوع صحته، لكن هذا ملخص لما قاله بعض أهل العلم فيه.

شرح الحديث الثالث والعشرين

الحديث فيه دلالة واضحة على عظم عرش الرحمن، وأنه أعظم المخلوقات، وهذا بقطع النظر عن هذا الحديث، يعني لو من النصوص الأخرى فقط عرش أكبر المخلوقات، أكبر من السماوات وأكبر من الأرض، وأكبر من الكرسي، والعرش في اللغة: سرير الملك، السرير الذي يجلس عليه في الملك في اللغة، يقال له: العرش، كما قال تعالى عن ملكة سبأ: **وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** [النمل: ٢٣]. وقال عن يوسف لما تولى ملك مصر: **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ** [يوسف: ١٠٠]، وهذا كما في "تهذيب اللغة للأزهري" وغيره.

وعرش الرحمن أكبر المخلوقات، كما قال أهل العلم، كما ذكر ابن تيمية - رحمه الله - في كتبه، وابن كثير - رحمه الله - في "البداية والنهاية" عرش الرحمن سقف المخلوقات، وأكبر المخلوقات،

ويحيط بالمخلوقات، وهو أعلاها، ومقرب كالقبة على العالم، وما تحته بالنسبة إليه، ولا شيء أصغر من حلقة في صحراء.

وقد قال الله -تعالى- عن الكرسي: **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**

[البقرة: ٢٥٥] فكيف بالعرش والكرسي موضع القدمين؟ كما ذكر ابن عباس -رضي الله عنهما-، رواه ابن خزيمة عنه في كتاب التوحيد، والحاكم، وصححه الألباني موقوفاً في "مختصر العلو"، وإذا كان الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ألقيت في صحراء، فماذا تساوي السماوات والأرض بالنسبة للعرش؟ وماذا تساوي الأرض التي نحن عليها بالنسبة للعرش؟ وماذا تساوي نحن بالنسبة للعرش؟ وماذا يكون الكل بالنسبة لله -تعالى-؟

فعلام يتمردون، وعلام يعاندون، علام يحاربون الله، ومن يقوم له والعرش أثقل المخلوقات وزناً أيضاً، كما قال النبي ﷺ لزوجته جويرية: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: **سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته** [رواه مسلم: ٢٧٢٦].

لاحظ في أشياء لها حصر: عدد خلقه، وزنة عرشه، وفي أشياء لا حصر لها: رضا نفسه، ومداد كلماته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: المقصود بالحديث نهاية ما يمكن من الوزن، وغاية ما يمكن من المعدود، يعني أكبر معدود في الدنيا، وأكبر وزن في الدنيا العرش، قال: وغاية ما يمكن من القول والمحبوب؛ لأنه قال عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، نهاية ما يمكن من الوزن الذي هو زنة العرش، وغاية ما يمكن

من المعدود، يعني أكبر معدود في الدنيا، وأكبر وزن في الدنيا العرش، قال: وغاية ما يمكن من القول والمحبوب؛ لأنه قال عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، نهاية ما يمكن من الوزن الذي هو زنة العرش، وغاية ما يمكن من المعدود الذي هو عدد خلقه، وغاية ما يمكن من القول والمحبوب رضا نفسه ومداد كلماته، "بيان تلبيس الجهمية".

وقال في "مجموع الرسائل والمسائل": وزنة عرشه يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان

وقد امتدح الله نفسه في كتابه: أنه صاحب العرش، فقال: رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ [غافر: ١٥]، وقال: فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون: ١١٦]، وقال: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [النمل: ٢٦].

وفي دعاء الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم [رواه البخاري: ٦٣٤٦، ومسلم: ٢٧٣٠].

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ [البروج: ١٤-١٦]. إذا قلت: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ، تكون المجيدُ صفةً لله، الغفورُ، الودودُ، المجيدُ.

طيب فإذن، القراءة: وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد، هذه من أسماء الله.

فقوله: ذُو الْعَرْشِ صاحب العرش المعظم العالي على جميع الخلائق خص الله العرش بالذكر لعظمته، يعني ذكر كلها أسماء الله، قال:

ذُو الْعَرْشِ وهو الغفور، الودود، ذو العرش، المجيد، فمعناها أن العرش هذا شيء عظيم، حتى أنه يضيفه إلى نفسه ذُو الْعَرْشِ، وأخص المخلوقات بالقرب من الرب -تعالى- العرش. كما في "تفسير الطبري" و"ابن كثير" و"السعدي".

وفي قوله تعالى: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ قراءتان: قراءة الضم، هذه تكون من أسماء الله، والكسر صفة للعرش، فاسم الله المجيد المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله، وكثرة خيره ودوامه؛ هذا المجيد.

وإذا قلنا: ذو العرش المجيد، على قراءة الكسر، فعرشه مجيد ذو مجد، وقد وصف الله عرشه.

فإذن، ذو العرش المجيد، المجيد: العظيم، القوي في نوعه، العالي، لعلوه وشرفه، وصفه للعرش على هذه القراءة بالمجيد.

هل ورد وصف آخر للعرش في القرآن؟

رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون: ١١٦]، نظير المجيد.

وأيضا العظيم: **رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** [التوبة: ١٢٩]؛ فإذا، رب العرش العظيم، ورب العرش الكريم.

وعلى قراءة ذو العرش المجيد، وهو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك لسعته وحسنه وجماله وبهائه، وأنه أوسع المخلوقات، وأثقلها وأعلاها وأجملها وأجمعها، وبهاء منظرها وعلوه، ولا يقدر عظمته إلا الله، وأكبرها، فمجده مستفاد من مجد خالقه، والسموات السبع، والأراضون السبع، بالنسبة للكرسي حلقة في فلاة، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، فكيف لا يكون العرش مجيداً؟ فهو

عظيم كريم مجيد، كما في "التبيان في أقسام القرآن"، لابن القيم. والعرش أول المخلوقات، كل هذا في عظمة الله الآن؛ لأن كل هذه العظمة -عظمة العرش- من أين؟ من عظمة الله.

أصلاً أنت تعظم ربك بما تسمعه من عظمة مخلوقاته، فإنه لا يخلق بضم اللام من الخلق، ما نقول لا يخلق؛ لأنه يخلق، يعني: يبلى، أيوه لا يخلق.

العرش أول المخلوقات؛ كما قال تعالى: **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** [هود: ٧]. فالعرش كان على الماء عند ابتداء الخلق.

وفي الحديث: **كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض** [رواه البخاري: ٣١٩١]. ومن فضل العرش: أن الله استوى عليه، استواء يليق بجلاله وعظمته، ليس كجلوس المخلوق على الكرسي، لكنه استواء يليق بالرب، ولا تدرك عقولنا المحدودة هذا الاستواء، ولا نستطيع أن نتخيل، أصلاً عقلك لا يدرك ذلك، ولا يصح ولا يجوز لك أن تدخل في هذا؛ لأنه شيء لا يمكن تخيله، والله قال عن نفسه: **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ** **عِلْمًا** [طه: ١١٠]، فكيف ستتخيل استواء الله على عرشه؟

ما يمكن تتخيلها أصلاً، ولا أن تدرك الكيفية نهائياً، ولذلك اقطع الأمل من أولها، اقطع الأمل عن إدراك كيفية الاستواء، لكنك تعرف معناه في اللغة: استوى: ارتفع، علا، خلاص هذا معروف في اللغة، ارتفع على العرش علا على العرش، استوى على العرش.

خلاص نعرفها في اللغة ما هي، ونثبتها لله كما هي، لكن الكيفية

وقول بعضهم في عبارة: استوى بلا كيف، خطأ؛ بلا كيف معلوم لنا، كيف معلوم له.

فإذن، لا بد أن تفسر، وما تبقى جملة استوى بلا كيف معلوم لنا، أي لا كيف معلوم لنا لا في كيف، لكن ما نعرفه مثل الصفات الأخرى كوجهه ويده وأصابعه -سبحانه- نثبتها حقيقة لله، سمع حقيقي، بصر حقيقي، أصابع حقيقية، قبضة حقيقية، يد حقيقية، قدم حقيقية، وجه حقيقي، لكن كيف نتخيل لا يمكن، لا يمكن والرحمن على العرش استوى، لما سئل الإمام مالك -رحمه الله- عنها قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، قال ابن القيم -رحمه الله-: "الأدلة السمعية المحكمة على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه إذا بسطت أفرادها كانت ألف دليل". "إعلام الموقعين".

أدلة علو الله على خلقه، وكتاب الذهبي "العلو للعلي الغفار" فيه من الألف هذه ما فيه.

والعرش والكرسي حقيقان، وتفسيره بالملك والسلطان تحريف؛ لأن بعضهم يرفضون إثبات العرش الحقيقي، ويقولون: كناية عن ملكه، كناية عن سلطانه، له ملك وسلطان من غير عرش، العرش عرش حقيقي، فهو مخلوق عظيم حقيقي موجود، قد استوى عليه رب العالمين، لا يشابه استواء المخلوقين.



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الرابع والعشرين

رحمة الله بخلقه

نص الحديث الرابع والعشرين

لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي [رواه البخاري: ٣١٩٤، ومسلم: ٢٧٥١].
وفي رواية: إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش [رواه البخاري: ٧٥٥٤].

شرح الحديث الرابع والعشرين

هذا الحديث يتضمن سعة رحمة الله، ويدل على عظمة الله، وكثرة فضله في حلمه قبل انتقامه، وعفوه قبل عقوبته، وذكر الكتاب تأكيد بالغ في معناه؛ لأن ما زاد تأكيده يثبت في كتاب، يعني ما دلالة إثبات الله لهذا في الكتاب، التأكيد عليه وإلا الله حفيظ لا ينسى شيئاً كتب وإلا ما كتب، الله لا ينسى شيئاً، لكن لما يكتبه دليل على مكانة هذا، وقدر هذا، وأهمية هذا، وأنه مؤكد عنده، ولذلك كتبه وإلا هو غني عن الكتابة سبحانه، يحفظ، حفيظ بلا كتابة، فالله كتب وأوجب على نفسه في كتاب شرفه وجعله عنده على العرش، لم يول عليه ملكاً، ولا نبياً مرسلًا، ولم يرض في مكان خزنه إلا أن يجعله فوق عرشه، كتب هذا عنده في كتاب، وغضبه لم تكن لتقوم له السماوات والأرض من الذي يقاوم غضب الرب، ورحمته غلبت غضبه، فدفع العظيم بالعظيم كما قال ابن هبيرة في "الإفصاح".
فالله كتب عنده في كتاب فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي

أو غلبت غضبي، قبل أن يخلق الخلق، لما قدر خلقهم وفرغ من التقدير كتب، غلبت سبقت تدل على ماذا؟ كثرة الرحمة، سعة الرحمة، عظم الرحمة. كما في "شرح النووي على مسلم" قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وصف رحمته بأنها تغلب وتسبق غضبه يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها وغلبتها" انتهى.

فالرحمة والغضب كلاهما من صفات الله، لكن الرحمة أوسع وأشمل وأعظم؛ وكلاهما عظيم، وكلاهما صفة لله، الغضب صفة لله، والرحمة صفة لله، لكن صفة الرحمة أوسع أعم، سبحانه الله، وهذا كمال قال تعالى: **غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ** [غافر: ٣]، فتأمل كيف وقعت صفة شديد العقاب بين صفة رحمة قبله وصفة رحمة بعده **غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ**؛ لأن ذِي الطَّوْلِ ما معناها؟

صاحب النعم والمن والخير الكثير، المتفضل على عباده، هذا يعني ذِي الطَّوْلِ، فتأمل في أربعة أشياء: غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذِي الطَّوْلِ، ثلاثة كلها في الرحمة والتوبة، والمن، والنعم، وواحدة شديد العقاب، نبه على هذا المعنى ابن القيم -رحمه الله- في "**بدائع الفوائد**"، فشدة عقابه وقعت بين رحمتين، فسبقت رحمته غضبه وغلبته، ولهذا كان النبي ﷺ يستعيز في سجوده، يقول: **اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك** [رواه مسلم: ٤٨٦].

شف لاحظ لما كان الرضا أعظم من السخط استعاذ بالرضا من السخط، ولما كانت المعافاة أعظم من العقوبة استعاذ بالمعافاة من العقوبة، كما لو قلت: أعوذ برحمتك من غضبك، الرحمة أعظم من الغضب، كل هذه صفات لله دالة على عظمته، والمتأمل فيها من المسلمين، يقول ابن القيم: "تأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عند العرش" يقصد الكتاب الذي كتبه لما قدر مقادير الخلائق، قال: "وطابق ذلك وبين قوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: ٥]، وقوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا [الفرقان: ٥٩] ينفث لك باب عظيم من معرفة الرب -تبارك وتعالى- إن لم يغرقه عنك التعطيل والتجهم" [مدارج السالكين: ١/٥٧]

يعني شغل جهنم وكفريات جهنم وانحرافات.

فالله -عز وجل- هو الرحمن الرحيم، أرحم الراحمين، وهو خير الراحمين، الغفور ذو الرحمة، ومن رحمته -سبحانه- أنه أوجب الرحمة على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً، وامتناناً على الخلق؛ كما قال: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام: ٥٤]، وقال: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف: ١٥٦] شيء، ولا يستطيع أحد أن يحجب عن عباده، قال الله: مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا [فاطر: ٢].

ورحمة الله بعباده نوعان: رحمة عامة لجميع الخلائق بإيجادهم وتربيتهم ورزقهم وإمدادهم بالنعم، وتصحيح أبدانهم وتسخير المخلوقات لهم، وهذه تشمل حتى الكافر، قال تعالى: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا [غافر: ٧].

والله قرن هذه الرحمة مع العلم فكل ما بلغه علم الله -وعلم الله بالغ كل شيء- فقد بلغته رحمته، فكما يعلم الكافر يرحم الكافر، لكن رحمته للكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية [ابن عثيمين في "شرح الواسطية"].

الرحمة الثانية: رحمة خاصة، وهذه لا تكون إلا للمؤمنين، فيرحمهم في الدنيا بتوفيقهم للهداية، ويدافع عنهم، وينزل ملائكته من أجلهم، ويرزقهم الحياة الطيبة، وينعم عليهم بالعلم، والفتوحات الإلهية، ويرحمهم في الآخرة بمغفرة سيئاتهم، ورفع درجاتهم، وغفران ذنوبهم، ومباعدتهم عن النار، وإدخالهم جنته: **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** [الأحزاب: ٤٣]، فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته العامة والخاصة، أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وأرسل إلينا محمداً ﷺ، فهدانا به من الضلالة، وبصرنا به من العماية، وأرشدنا به من الغواية، عرفنا أسماءه من رحمته، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض، وجعلها مهاداً وفراشاً، وقراراً وكفاتاً للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب، وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام منقادة للركوب والحمل والأكل والدر، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا وبين سائر الحيوان، حتى ترفع الفرس رجلها أن تصيب ولدها.

بعض هذا الكلام في [مختصر الصواعق المرسله، لابن القيم -رحمه الله-، ص:



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الخامس والعشرين

الفرق بين الحمد والشكر،
وكيفية التوسل المشروع.

نص الحديث الخامس والعشرين

ففي سلسلة الأربعون في عظمة رب العالمين تقدم معنا شرح أربعة وعشرين حديثاً من أحاديث النبي ﷺ، والآن إلى الحديث الخامس والعشرين، قال ﷺ: اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت؛ فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، أنت إلهي، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله

[رواه البخاري: ١١٢٠، ومسلم: ٧٦٩].

شرح الحديث الخامس والعشرين

هذا جمع للروايات التي وردت لهذا الحديث. الحديث هذا في الحقيقة دعاء من أدعية الاستفتاح التي ذكرها النبي ﷺ في قيام الليل، وكان له في قيام الليل استفتاحات خاصة، ليست في صلوات الفريضة وغيرها، وإنما وردت في قيام الليل خاصة.

وهذا الدعاء العظيم، هذا دعاء استفتاح فيه تعظيم لله، وفيه

معاني عديدة، ومنها: التوحيد، والإيمان، والتصديق، والإخلاص، والتوكل، والانقياد، والتسليم، والإخبات، والإنابة إلى الله -تعالى-، والتضرع، والخضوع، والثناء على الله بما هو أهله من أعظم الثناء، والإقرار بوعد الله ووعيده وبالبعث وبجنته وناره، قاله نبينا ﷺ أعلم الخلق بالله، وأشدّهم له خشية، وأكثرهم له تعظيمًا.

وقد أكمل النبي ﷺ مقام العبودية والإحسان على وجهه، فكان ﷺ يعبد الله كأنه يراه، إجلالاً لله ومحبة وخضوعاً وخشية وحياء، وكان يأتي بالعبادات على أحسن الوجوه تحسیناً وإكمالاً وإتقاناً، فهو أفضل المحبين لله، وأفضل المتوكلين على الله، وأفضل العابدين والعارفين به -سبحانه- والتائبين إليه، فلنا في نبينا ﷺ أسوة حسنة؛ كما قال الله: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ** **وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** [الأحزاب: ٢١].

وقال ﷺ: **أما لكم في أسوة** [رواه مسلم: ٦٨١].

شرح قوله: ((اللهم لك الحمد))

قال في الحديث: اللهم لك الحمد، اللهم يا الله، الميم تعويض عن ياء النداء؛ لأن أصل الكلمة: يا الله، لما حذفت ياء النداء صارت الميم في آخر لفظ الجلالة دالة عليها.

اللهم يا الله.

فهذه إذن، الميم عوض عن ياء النداء.

لك الحمد أصل العبارة: الحمد لك، الحمد مبتدأ، لكن قدم الخبر وهو الجار والمجرور لك الحمد دلالة على الحصر والاختصاص.

الفرق بين الحمد لك ولك الحمد

لو واحد قال: ما الفرق بين "الحمد لك" و"لك الحمد"؟

"لك الحمد" في الحصر والاختصاص أعظم.

و"أل" في لفظة الحمد تفيد الاستغراق، يعني استغراق جميع أنواع الحمد، وجميع المحامد، تفيد الاستغراق والاستقصاء الحمد.

فإذن، جميع الحمد مستحق لله، جميع الحمد واجب لله، إثبات كمال المحامد لله -تعالى-. كما في "مرقاة المفاتيح" وغيره.

الحمد ما هو؟

وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم، فليس فقط وصف المحمود بالكمال، لا بد أن يكون معه محبة وتعظيم، وإلا لا يكون حمداً، والكمال هذا الكمال الذاتي والوصفي والفعلي، يعني كمال الذات والصفات والأفعال، قال أهل العلم: مجرد وصفه بالكمال دون محبة ولا تعظيم لا يسمى حمداً، وإنما يسمى مدحاً، فمجرد وصفه بالكمال بدون محبة وخضوع وتعظيم ما يكون حمداً يكون مدحاً، فإذا أردت الحمد لا بد أن تذكر كماله مع المحبة والتعظيم، حتى يكون حمداً، ولذلك قد يقع المدح من شخص لشخص لا يحبه؛ كما يقع من كثير من الشعراء لمن لا يحبونهم، لكن يريدون عطاياهم فقط.

وحمدنا لرَبنا -سبحانه وتعالى- يشتمل إذن على المحبة والتعظيم، ولذلك صار لا بد من القيد في الحمد وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

هذا مختصر الحمد؛ ذكر كماله مع محبته وتعظيمه.

فالحمد إذن، فيه إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه،

هذا مختصر الحمد؛ ذكر كماله مع محبته وتعظيمه.
فالحمد إذن، فيه إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه،
بخلاف المدح فإنه خبر مجرد. [بدائع الفوائد: ٩٣/٢].

الحمد ثناء على الله بصفات الكمال وبأفعاله، ثناء عليه بصفاته
وأفعاله، وأفعاله دائرة بين الفضل والعدل؛ فله الحمد بجميع
الوجوه. [ذكره السعدي - رحمه الله -].

الفرق بين الحمد والشكر

ما هو الفرق بين الحمد والشكر؟

الحمد الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، لو
قلت لك مثلاً: القدوس هذا من الأسماء اللازمة أو المتعدية؟
اللازمة؛ لأنه معناها المطهر من النقائص والعيوب.
طيب إذا قلت لك: الشكور الغفور الخالق متعدية.

والحمد يكون باللسان والقلب، فالله - تعالى - محمود على أسمائه
وصفاته وأفعاله، وعلى نعمه، وعلى أمره وحكمه وشرعه، المحمود
أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

أما الشكر لا يكون إلا على الصفات المتعدية، أنت تحمد من يستحق
الحمد سواء لك معروفاً وإلا ما صنع لك معروفاً، لكن لما تقول:
شكرته لا بد أن يكون قد صنع لك معروفاً، وإلا لا يسمى مدحك له
شكراً، فمن الفروق بين الحمد والشكر: أن الحمد الثناء على
المحمود لأجل صفاته وأفعاله وعظمته.

الشكر لأجل ما صنع لك وأعطاك من النعم والهبات، وأسدى إليك،

وأسبغ عليك.

فإذن، الشكر لا بد أن يكون على الصفات المتعدية، ويكون الشكر بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً؛ كما قال تعالى: اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا [سبأ: ١٣].

فالشكر ما هو فقط باللسان، في شكر بالقلب وباللسان وبالجوارح، الحمد يكون مقابل نعمة وبدونها، الشكر لا يكون إلا في مقابل نعمة. فالحمد والشكر بينهما عموم وخصوص، يعني من جهة الحمد أعم ومن جهة الشكر، أعم كيف؟

الحمد أعم من الشكر من جهة ما يقعان عليه من حيث ما يقعان عليه ما يطرقان عليه؛ لأن الحمد يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، وفي البشر، تقول مثلاً: حمدته لشجاعته لفروسيته ولو ما طالك منه معروف، ولا أسدى لك شيئاً من الخير؛ لأنه عندك يستحق الحمد لصفاته سواء أعطاك وإلا ما أعطاك، لكن لما تقول: شكرته لا بد أن يكون قد أعطاك شيئاً تشكره عليه خيراً نعمة.

طيب هذا الحمد أعم من الجهة هذه، طيب ومن أي جهة يكون الشكر أعم من جهة وسائل الشكر، يعني الآن قلنا: الحمد يكون بالقول والقلب، أما الشكر بالقلب والقول والفعل، والشكر أخص من جهة أنه على الأفعال المتعدية، فلا تقول في اللغة: شكرته على علمه، شكرته على حياته، على سمعه على بصره، لكن تقول: حمدته.

ما تقول شكرته على ذكائه ونباهته وعقله، ما تقول في اللغة هكذا، تقول: حمدته على ذكائه ونباهته، وهكذا.. لكن تقول: شكرت فلاناً

على كرمه وإحسانه، هذا في ["الفروق اللغوية" للعسكري و"مدارج السالكين" و"تفسير ابن كثير" وغيرها].

الله -تعالى- مستحق للحمد الكامل من جميع الوجوه، ولهذا النبي ﷺ كان إذا رأى ما يحب قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال [رواه ابن ماجه: ٣٨٠٣، وجوده إسناده النووي -رحمه الله-، وصححه البوصيري] فالحمد في جميع الحالات.

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أنت نور السماوات والأرض)) قوله ﷺ بعدها: أنت نور السماوات والأرض يعني منورهما، ومدبر أمورهما، فالله -تعالى- منور السماء بالكواكب والشمس والقمر. وقيل: نورها بالملائكة كما نور الأرض بالأنبياء.

وقال أبي بن كعب والحسن وغيرهما: "مزين السماوات والأرض" زين السماء بالشمس والقمر والنجوم، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والصالحين.

وقيل: نور السماوات والأرض، هادي أهل السماوات والأرض، فنبوره اهتدى أهلها. كما في "البغوي" و"القرطبي" و"ابن كثير" و"فتح الباري".

وروي في دعاء النبي ﷺ وهو منصرف من الطائف أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك [رواه الطبراني: ١٨١، وفيه ضعف، معضل].

قال ابن القيم -رحمه الله-: والحق أنه نور السماوات والأرض بهذه الاعتبار كلها، يعني كل ما تقدم من معاني نور السماوات والأرض،

والنور بهذه المعاني من أفعاله سبحانه، والنور أيضاً من أوصافه، ومنه: اشتق له اسم النور. كما في "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية".

فالله -تعالى- نور السماوات والأرض، وهذا يشمل: النور الحسي، والنور المعنوي، فهو -تعالى- بذاته نور، وحجابه نور، وبه استنار العرش والكرسي والشمس والقمر، وبه استنارت الجنة. أما النور المعنوي فهو يرجع إلى الله أيضاً، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور، وبصيرته البصيرة منه في قلب المؤمن نور، يرى به المؤمن، ويميز الحق الباطل، الحلال الحرام، السنة البدعة، الشبهات، فلولا نوره تعالى لتراكت الظلمات. كما قال السعدي -رحمه الله-.

قال ابن القيم في "نونيته":

نور السماوات العلى من نوره	والأرض كيف النجوم والقمران
من نور وجه الرب جل جلاله	وكذا حكاة الحافظ الطبراني
فبه استنار العرش والكرسي مع	سبع الطباق وسائر الأكوان
وكتابه نور كذلك شرعه	نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الإيمان في قلب الفتى	نور على نور مع القرآن
وحجابه نور فلو كشف الحجاب	لأحرق السبحات للأكوان
وإذا أتى للفصل يشرق نوره	في الأرض يوم قيامة الأبدان
وكذاك دار الرب جنات العلى	نور تلاً لأليس ذا بطلان

[الكافية الشافية، ص: ٢١٢].

قال عليه الصلاة والسلام:

((ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض))

قال ﷺ: ((ولك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض)).

وفي رواية لمسلم: قِيَّام [رواه مسلم: ٧٦٩] قِيَّام قِيَّام كلها صيغة مبالغة تدل على قوة القيام وكماله، فهو قائم بالسماوات والأرض -سبحانه- قائم بها، ولا تقوم إلا به، ومن أسمائه: القيوم؛ كما في آية الكرسي، كما في آل عمران.

"القيوم" كامل القيومية، لها معنيان الاسم هذا له معنيان: المعنى الأول: الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته واستغنى عن مخلوقاته، قائم بنفسه مستغن عن خلقه.

المعنى الثاني: قامت به الأرض والسماوات والمخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدّها وأعدها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، فهو الغني من كل وجه، وكل ما سواه مفتقر إليه من كل وجه. كما ذكر السعدي -رحمه الله- في "الحق الواضح المبين".

قال قتادة: "القيوم القائم على خلقه بأجلهم وأعمالهم وأرزاقهم. كما في "الزاهر"، لابن الأنباري.

فهو -سبحانه- قام بنفسه، فلم يحتاج إلى أحد، وقام كل شيء به -تعالى- فكل ما سواه محتاج إليه. "مدارج السالكين".

القيوم: اسم متضمن لكمال غناه، وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه -سبحانه-، وهذا من كمال قدرته وعزته. كما في "بدائع الفوائد".

قال ابن القيم -رحمه الله- في النونية:

هذا ومن أوصافه القيومُ وال
إحداهما القيوم قام بنفسه
فالأول استغناؤه عن غيره
والفقر من كلِّ إليه الثاني
قيوم في أوصافه أمران
والكون قام به هما الأمران
والفقر من كلِّ إليه الثاني
موصوفه أيضاً عظيم الشأن

[الكافية الشافية، ص: ٢١١].

فإذن، معنى ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض أقمتهما من
العدم، أوجدتهما وأنت قائم عليهما يا ربنا بما يصلحهما، فأنت
الخالق الرازق، المالك المدبر، المحيي الميت، الغني عن كل شيء، وكل
من سواك فقير إليك، ومصيره إليك، كما أنك أنت الذي أوجدته،
فلك الحمد، هذا في "شرح كتاب التوحيد، للشيخ الغنيان" من
عرف الله بقيوميته دعاه، وتوسل إليه، وأنزل به حاجته، واستغاث
به، أصلاً قيوم كل شيء قائم به، كل شيء معتمد عليه، كل شيء
مفتقر إليه، ولذلك اللجوء إليه ودعاؤه هذا التوحيد لا يفهمه عباد
القبور يذهبون إلى الأموات ويسألونهم والأولياء والأضرحة.

لكن لو يفهمون اسم القيوم يلجؤون إلى غيره؟ لو يفهمون اسم
القيوم يسألون غيره؟
فمن عرفه -سبحانه- بقيوميته دعاه واستغاث به، وتوكل عليه،
ولجأ إليه، وتوسل إليه.

والنبي ﷺ علم فاطمة -رضي الله عنها- ابنته أن تقول في كل صباح
ومساء: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث؛ أصلح لي شأنه كله، ولا
تكليني إلى نفسي طرفة عين

[رواه الحاكم: ٢٠٥٢، وابن السني: ٤٨، وصححه المنذري، وحسنه الألباني].

قال ابن القيم -رحمه الله-: انتظم هذان الاسمان، يعني الحي القيوم، هذه في آية الكرسي، وفي أول آل عمران الحي القيوم. وهل وردت أيضًا في كتاب الله؟ هل ورد هذا الاسم أيضًا في موضع ثالث غير البقرة وآل عمران؟

في طه: **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ** [طه: ١١١].

فهذه ثلاثة مواضع: في آية الكرسي في البقرة، وفي مطلع آل عمران، وفي سورة طه، في ذكر القيامة والآخره وماذا يكون فيها: **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** [طه: ١١١].

هذان الاسمان قد اشتملا على صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الله -تعالى-، وبكل صفة من صفاته، فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنة تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإنالة الطلبات. [بدائع الفوائد: ١٨٤/٢].

((ولك الحمد، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن))

وقوله ﷻ: **ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن** كما قال تعالى في سورة الفاتحة: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** [الفاتحة: ٢] الرب الخالق المالك المدبر.

الرب تجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق والملك والتدبير، فهو الخالق لكل شيء، والمدبر لجميع الأمور.

[ابن عثيمين، في تفسير سورة الفاتحة].

"العالمين" جمع عالم، وهذا الوزن في الجموع لا يوجد إلا في كلمتين في

اللغة: عالمين جمع عالم، وياسمين جمع ياسم.
إذن، ياسمين، مش يعني يا أيها السمين، ياسمين جمع يعني كلمة واحدة، جمع ياسم.

وقيل غير ذلك، يعني في ثلاث هذه المشهورة.
طيب العالمين جمع عالم، نحن نقول الآن عوالم في القرآن عالمين، يعني ما جمعت في القرآن عالم على عوالم، لكن جمعت على عالمين، وليس عالمين، عالمين يعني مثنى، عالمين جمع، العالمين: كل ما سوى الله؛ عالم الملائكة، وعالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الطير والوحش والسمك، وصفوا بذلك؛ لأنه علم على...

طيب رب العالمين، علم على خالقهم رب العالمين؛ لأنه خلق العوالم هذا، ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على أنه الخالق؛ في قدرته، وحكمته، ورحمته، وعزته، وغير ذلك من معاني الربوبية. وتربية الله لخلقه نوعان: عامة وخاصة، يعني مثلاً لما تقول: الرب يعني يربي، فربيته لخلقه نوعان: عامة في خلقه لهم وإيجاده ورزقه وهدايته لمصالحهم هدايته لهم، أو هدايتهم لمصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

أما الهداية الخاصة: فهدايته لأوليائه وعباده المؤمنين فيربهم بالإيمان، هذه التربية الخاصة.

التربية قلنا: نوعان تربية عامة تشمل خلقهم ورزقهم وهدايتهم إلى ما فيه مصالحهم.

وتربية خاصة، وهي تربيته لأوليائه وعباده المؤمنين، فيربهم بالإيمان وينمي الإيمان في قلوبهم، ويوفقهم للهدى والحق، ويكمله لهم،

ويدفع عنهم ما ينقص ذلك، والصوارف التي تنقصه أو تضره وتحول بينهم وبينه.

فإذن، الله يربي عباده، وحقيقة التربية التوفيق لكل خير، والحماية من كل شر.

ولعل السبب هذا في أن أدعية الأنبياء في القرآن أكثرها مصدرة: "ربنا"، و"رب".

إذن، الأدعية في كتاب الله - سبحانه وتعالى -، أدعية الأنبياء التي ذكرها الله في كتابه مصدرة بالربوبية "رب" مناداة الرب لما اشتملت عليه كلمة الرب من المعاني العظيمة، الدالة على القدرة، والداعي يريد من يقدر على تلبية طلبه، ولذلك يقول: "رب"، و"ربنا".

لكن هناك في القرآن أدعية مصدرة بـ اللهم، مثال: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ [آل عمران: ٢٦].

سورة المائدة: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ [المائدة: ١١٤].

طيب في من أدعية الكفار مصدرة بـ اللهم في القرآن؟
في الأنفال: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ [الأنفال: ٣٢].

طيب في من أدعية أهل الجنة اللهم في القرآن؟
طبعاً في، لكن نحن ما هو شرط الآن نقول دعاء، وإنما يدعونه بذلك ينادونه بذلك، فالله قال عنهم: دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [يونس: ١٠].

طيب وآخر دعاء في اللهم في القرآن من تعليم لله لنبيه ﷺ: قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [الزمر: ٤٦].

طيب قلنا: ربنا، ورب، لما في معنى الرب من المعاني العظيمة، لما اشتملت عليه كلمة: الرب، من المعاني العظيمة ينادونه ويدعونه به، فيدل على خلقه وتديره، وكمال غناه، وافتقار العالمين إليه، قال في الحديث: أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن خالقهما ومالكهما ومدبرهما، والمتصرف فيهما، ولا شريك لأحد لك فيها. معنى قوله: ((أنت الحق))

قال: أنت الحق الحق في ذاته، الحق في صفاته، ووجوده حق، وأسمائه حق، وصفاته حق، وشرعه حق، ودينه حق، وكتبه حق، وقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وعبادته حق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالى: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ [الكهف: ٢٩].

معنى قوله: ((ووعدك الحق))

قال ﷺ: ووعدك الحق ما وعدت به في كتابك وعلى السنة رسلك واقع لا شك فيه، إلا إن وعد الله حق، فجنته للطائعين، وناره لمن عاند وتمرد حق.

معنى قوله: ((وقولك الحق))

قال ﷺ: وقولك الحق يعني صدق وعدل ثابتة. الحق هو الشيء الثابت، يقال: هذا حق فلان، وهذا حقي، يعني هذا

الثابت لي، الثابت له.

إذن، من معاني الحق: الثبات، ولا عبث فيه قوله ولا كذب ولا مجازفة ولا شك، قال تعالى: **وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** [الأحزاب: ٤]. كما في "شرح ابن بطلال" و"التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملقن و"مرقاة المفاتيح".

قال تعالى: **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ** [الأنعام: ١١٥].

صدقًا في الإخبار، وعدلًا في الأحكام، كل ما أمر به، كل ما حكم به عدل، كل ما نهى عنه باطل، **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ** [الأعراف: ١٥٧]، **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ** [النحل: ٩٠].

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((ولقاؤك حق))

وقوله ﷺ: **ولقاؤك حق** يعني: واقع وآت لا محالة، لقاؤك قادم، لقاؤه تعالى البعث بعد الموت، والمصير إلى الدار الآخرة، ووقوف العباد بين يديه للمحاسبة على أعمالهم، لقاء الله هذا هو البعث بعد الموت، والمصير للدار الآخرة، والموقف بين يدي الله. كما ذكره ابن رجب في "فتح الباري" والعيني في "شرح أبي داود"، و"مرقاة المفاتيح" كذلك.

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ [التغابن: ٧] هذا حق **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** [الانشقاق: ٦]، يعني فملاق ربك، إنك كدحا إلى ربك كدحا فملاقيه، فملاق ربك.

وقال تعالى: **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ** [البقرة: ٢٢٣].
 وقال الله: **وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ** [الروم: ٨]، جاء في
 حديث جبريل في أركان الإيمان: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه،
 وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث" [رواه البخاري: ٥٠، ومسلم: ٩ و ١٠] كما
 في رواية أبي هريرة، ورواية مسلم انفرد بها من حديث ابن عمر عن
 عمر.

لقاء الله لقاء حقيقي.

لقاء الله على نوعين: لقاء محبوب على وجه الإكرام، يعني ناس
 يلقون الله فيكرمهم.

ولقاء مكروه على وجه التعذيب؛ كما قال سليمان بن عبد الملك لأبي
 حازم يطلب منه الموعدة: كيف القدوم على الله -تعالى-؟ قال: يا أمير
 المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحاً مسروراً، وأما المسيء
 فالعبد الأبق الشارد عن سيده الأبق يأتي مولاه خائفاً محزوناً.

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: **((والجنة حق، والنار حق))**

وقوله ﷺ: **والجنة حق، والنار حق** مخلوقتان الآن لا تفنيان ولا
 تبيدان، الأولى جزاء الطائعين، والثانية جزاء الكافرين العاصين،
 قال تعالى: **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** [آل عمران: ١٣٣]، وقال:
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [آل عمران: ١٣١] أعدت، في آية
 الجنة، قال: **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** [آل عمران: ١٣٣]، وفي آية النار، قال:
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ.

فلو واحد قال لك: أعطني دليل أن الجنة مخلوقة الآن موجودة؟
 قال تعالى: أعدت للمتقين، والنار أعدت للكافرين.

والنصوص كثيرة.

إن الله لما خلق الجنة وخلق النار أرسل جبريل فنظر فيها ونظر في هذا ورجع إلى الله الحديث.

و"أن الله لما خلق النار قالت: ربي أكل بعضي بعضا اشتكت فأذن لها بنفسين".

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((والنبيون حق))

قوله ﷺ: والنبيون حق يعني نؤمن بأنبياء الله ورسله، وما سمي الله لنا منهم، وما لم يسمه كله نؤمن به، يعني الآن إذا كان فيما يروى عن حديث أبي ذر عند أحمد مرفوعا فيما يروى، يعني ضعفه كثيرون أن حديث عدة الأنبياء: مائة وأربعون وعشرون ألف نبي الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة وستون، جمًّا غفيرًا، الله ما ذكرنا لنا في كتابه إلا خمس وعشرين، فإذا كانوا مائة وأربعين وعشرين ألف نبي الذين بعثوا في البشرية؛ لأنه ما في أمة إلا خلا فيها نذير، وأحيانا اثنين وثلاثة **إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ** [يس: ١٤]، ففي أنبياء كثيرون جدًا، الله يحب إقامة الحجة على الناس، يريد ما يأتي واحد يوم القيامة يقول: ما بلغنا وما سمعنا، يعني الله يريد إقامة الحجة، خلاص كل واحد العذر خلاص، والحجة تنقطع.

فإذن، النبيون حق فعلا أرسلهم الله: **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** [النحل: ٣٦].

ونحن نؤمن بهم جميعًا ولو ما عرفناهم جميعًا، **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** [البقرة: ٢٨٥]، في الإيمان، في أصل الإيمان ما نفرق بين أحد من رسله، والله قال مهددًا: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ**

أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا [النساء: ١٥٠-١٥١].

وبهذا احتج بعض علماء المسلمين على أحبار اليهود ورهبانة النصارى: قالوا نحن أولى بالحق منكم، أنتم يا أيها اليهود آمنتم بموسى، وكذبتُم بعيسى ومحمد ﷺ، وأنتم يا أيها النصارى آمنتم بعيسى وكفرتُم بموسى ومحمد ﷺ، ونحن المسلمون نؤمن بمحمد ﷺ وموسى وعيسى فنحن أولى بالحق منكم.

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((ومحمد حق))

وقوله ﷺ: ومحمد حق خصه من النبيين مع أنه منهم تعظيمًا له، هذا العطف إشارة للتغاير، يعني أنه فوقهم، أنه إمامهم، مع أنه منهم من جملتهم، وتواضعًا منه ﷺ ما قال: وأنا حق، قال: ومحمد حق مع أنه هو، لكن ما قال أنا حق، ومحمد حق.

معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((والساعة حق))

وقوله ﷺ: والساعة حق يعني يوم القيامة؛ وما فيها من الحساب، ونشر الصحف، الميزان، الصراط، الحوض، القنطرة.

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((اللهم لك أسلمت))

وقوله ﷺ: اللهم لك أسلمت بدأ الآن بالدعاء، بعد كل ما تقدم من الثناء، وبعد كل ما تقدم من الاعتراف والإقرارات الإيمانية، اللهم لك أسلمت استسلمت وأطعت انقذت لحكمك وأمرك ونهيك، وسلمت ورضيت وآمنت وصدقت واستيقنت اللهم لك أسلمت. ذكر هذه المعاني ابن بطلال، وابن عبد البر، والقاضي عياض، والنووي،

وغيرهم.

معنى قوله: ((وبك آمنت))

وبك آمنت: شف الأولى: لك أسلمت، الثانية: بك آمنت صدقت بما أنزلت وما أخبرت، وما أمرت وما نهيت.

بك آمنت أقوى من آمنت بك، بك آمنت يجمع الإيمان بالله وأني لم أؤمن إلا بتوفيقك.

آمنت بك مجرد الإخبار عن الإيمان، إذن بك فيها استعانة، بك توفيقاً منك، غير آمنت بك مجرد الإخبار، بك آمنت إخباراً وإقراراً بالإيمان كان بتوفيق منه - سبحانه -.

معنى قوله: ((عليك توكلت))

قوله: عليك توكلت تبرؤ من الحول والقوة، وتفويض الأمور إلى الله، ومن توكل على الله كفاه، والوكيل هو الكافي. كما في "شرح ابن بطل" و"التوضيح" لابن الملحن.

معنى قوله: ((وإليك أنبت))

وقوله: وإليك أنبت رجعت إلى الخير، وإليك أنبت: **وَأَنْيَبُوا إِلَى رَبِّكُمْ** [الزمر: ٥٤]، عودوا إلى ما يرضيه، عودوا إلى ما يحبه، ارجعوا إليه بالتوبة.

المنيب الراجع المقبل على الله.

أطعت أمرك، وتبت إليك، ورجعت بهمتي إلى طاعتك، فاقبل مني؛ هذا المعنى.

معنى قوله: ((وبك خاصمت))

قوله: وبك خاصمت يعني: بك أحتج وأدافع وأقاتل، وبحججك

وبراهينك أتقوى في مواجهة أعدائك.

بك خاصمت ؛ لأن الخصام فيه جدال حجج براهين نقاشات، فهذه تحتاج إلى تأييد ونصرة من الله.

بك خاصمت بك مستعيناً في جدال أعدائك، وبالحجج التي أنزلتها وذكرتها والدلائل والبراهين أيضاً أخذ في دعوتي ومجادلتي الخصوم. معنى قوله: ((وإليك حاکمت))

وإليك حاکمت الحين بك خاصمت واضحة، وإليك حاکمت إلى شرعك، إلى شرعك حاکمت، لا إلى كاهن، ولا إلى بشر، قوانين أرضية.

وإليك حاکمت إلى شرعك.

وبك خاصمت، وإليك حاکمت المخاصمة لله؛ يقول العبد: المخاصمة ليس لهواي وحظي، وإنما من أجلك يا الله، وإلى دينك حاکمت، لا إلى هواي ولا إلى هوى غيري، فمن خاصم لنفسه ينتصر لنفسه، ولكن النبي ﷺ ما انتقم لنفسه، ومن حاكم إلى شريعة الله لن يتحاكم إلى غيره: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ [النساء: ٦٠].

معنى قوله: ((فاغفرلي))

قال: فاغفر لي بعد كل ما تقدم، فاغفر لي بعد كل ما تقدم من الثناءات والإقرارات، وأنه خاصم وحاكم حتى في قضية الخصومة والمحاكمة، قال: فاغفر لي ما قدمت وما أخرت جاء الطلب جاء الدعاء، ما قدمت وما سلف مني من الذنوب والأعمال السيئة، وما

وبراهينك أتقوى في مواجهة أعدائك.

بك خاصمت ؛ لأن الخصام فيه جدال حجج براهين نقاشات، فهذه تحتاج إلى تأييد ونصرة من الله.

بك خاصمت بك مستعيناً في جدال أعدائك، وبالحجج التي أنزلتها وذكرتها والدلائل والبراهين أيضاً أخذ في دعوتي ومجادلتي الخصوم. معنى قوله: ((وإليك حاکمت))

وإليك حاکمت الحين بك خاصمت واضحة، وإليك حاکمت إلى شرعك، إلى شرعك حاکمت، لا إلى كاهن، ولا إلى بشر، قوانين أرضية.

وإليك حاکمت إلى شرعك.

وبك خاصمت، وإليك حاکمت المخاصمة لله؛ يقول العبد: المخاصمة ليس لهواي وحظي، وإنما من أجلك يا الله، وإلى دينك حاکمت، لا إلى هواي ولا إلى هوى غيري، فمن خاصم لنفسه ينتصر لنفسه، ولكن النبي ﷺ ما انتقم لنفسه، ومن حاكم إلى شريعة الله لن يتحاكم إلى غيره: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ [النساء: ٦٠].

معنى قوله: ((فاغفرلي))

قال: فاغفر لي بعد كل ما تقدم، فاغفر لي بعد كل ما تقدم من الثناءات والإقرارات، وأنه خاصم وحاكم حتى في قضية الخصومة والمحاكمة، قال: فاغفر لي ما قدمت وما أخرت جاء الطلب جاء الدعاء، ما قدمت وما سلف مني من الذنوب والأعمال السيئة، وما

وبراهينك أتقوى في مواجهة أعدائك.

بك خاصمت ؛ لأن الخصام فيه جدال حجج براهين نقاشات، فهذه تحتاج إلى تأييد ونصرة من الله.

بك خاصمت بك مستعيناً في جدال أعدائك، وبالحجج التي أنزلتها وذكرتها والدلائل والبراهين أيضاً أخذ في دعوتي ومجادلتي الخصوم. معنى قوله: ((وإليك حاکمت))

وإليك حاکمت الحين بك خاصمت واضحة، وإليك حاکمت إلى شرعك، إلى شرعك حاکمت، لا إلى كاهن، ولا إلى بشر، قوانين أرضية.

وإليك حاکمت إلى شرعك.

وبك خاصمت، وإليك حاکمت المخاصمة لله؛ يقول العبد: المخاصمة ليس لهواي وحظي، وإنما من أجلك يا الله، وإلى دينك حاکمت، لا إلى هواي ولا إلى هوى غيري، فمن خاصم لنفسه ينتصر لنفسه، ولكن النبي ﷺ ما انتقم لنفسه، ومن حاكم إلى شريعة الله لن يتحاكم إلى غيره: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ [النساء: ٦٠].

معنى قوله: ((فاغفرلي))

قال: فاغفر لي بعد كل ما تقدم، فاغفر لي بعد كل ما تقدم من الثناءات والإقرارات، وأنه خاصم وحاكم حتى في قضية الخصومة والمحاكمة، قال: فاغفر لي ما قدمت وما أخرت جاء الطلب جاء الدعاء، ما قدمت وما سلف مني من الذنوب والأعمال السيئة، وما

أخرت عما سيقع بعد ذلك، ولأن الداعي ليس معصوماً.

وقيل: ما قدمت من سيئة، وما أخرت من عمل.

وقيل: ما قدمت من شهواتي على حقوقك وما أخرت من الحقوق التي
تجب لك. كما في "إكمال المعلم" و"الإفصاح" و"مرقاة المفاتيح"
و"فيض القدير" و"عون المعبود".

قوله: وما أسررت وما أعلنت يعني ما أخفيت وما أظهرت من الأقوال
والأفعال والأحوال، وما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني، وما
صدر عني من فعل.

معنى قوله: ((أنت المقدم وأنت المؤخر))

أنت المقدم وأنت المؤخر تقدم من شئت من خلقك إلى رحمتك، وتؤخر
من شئت عن ذلك بخذلانهم.
وسؤال النبي ﷺ المغفرة مع أنه غفر له يعلمنا أولاً، ويتواضع كذلك،
وليقتدى به.

أنت إلهي، لا إله إلا أنت : إذن، افتتح الدعاء بالتوحيد، واختتمه
بالتوحيد، وأنت معبودي لا معبود لي غيرك، فالإله المألوه المعبود
المحبوب، المستحق للعبادة.

معنى قوله: ((ولا حول ولا قوة إلا بالله))

قال: ولا حول ولا قوة إلا بالله لا تحول لي من حال إلى حال إلا بك، وما
أستطعت أن أتحول أصلاً ولا قوة لي إلا بالله، كل إنسان لا يستطيع أن
يتحول من حال إلى حال إلا بالله لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا استطاعة
ولا قدرة لنا على أي عمل إلا إذا أعاننا وأقدرنا ومكننا، هذه الكلمة
العظيمة التي هي كنز من كنوز الجنة [رواه البخاري: ٦٦١٠، مسلم: ٢٧٠٤] كما
أخبر ﷺ، الكنز المال النفيس المجموع المدخر المخبأ.

الخلاصة

هذا الدعاء كان ﷺ يستفتح به في قيام الليل، وهو جدير بالتأمل والحفظ والفهم والعمل، جمع فيه النبي ﷺ معاني الإيمان والتوحيد والتوكل والانقياد والتسليم والإنابة والتضرع والخضوع مع الثناء على الله، وختمه بالدعاء.

جمع فيه النبي ﷺ أنواع الاستفتاح الثلاثة، ابن تيمية -رحمه الله- يقول: أنواع الاستفتاح للصلاة ثلاثة، يعني لو تأملناها أدعية الاستفتاحات في الصلاة:

أولها: ما كان ثناء على الله وهو أعلاها.

يليه: ما كان خبراً من العبد عن عبادة الله.

والثالث: ما كان دعاء من العبد. [مجموع الفتاوى: ٢٢/٣٤٢].

هذا الذكر يشتمل على الثلاثة جميعاً؛ فقدم ما هو خبر عن الله واليوم الآخر ورسله، ثم ذكر خبراً عن توحيد العبد لله، والمخاصمة به، والمحاکمة إلى شرعه.

ثم ختم ذلك بالسؤال، الحقيقة أنه توسل عظيم بتقديم الحمد والثناء والتمجيد بالأسماء والصفات، والتوسل بالعبودية والتوحيد، ولذلك هذا جدير: ألا يرد؛ فإنه مجد الله: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** [الفاتحة: ٢]، وتوسل إليه بالعبادة كما في الفاتحة: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ**

نَسْتَعِينُ [الفاتحة: ٥].

ثم جاء الطلب: **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** [الفاتحة: ٦]، في هذا الدعاء ذكر التوسل إليه بحمده، والثناء عليه، اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ثم ذكر العبودية له: اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، ثم بعد ذلك سأل الله المغفرة، وقال: فاغفر لي ما قدمت وما أخرت الحديث.

والحمد لله رب العالمين



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس السادس والعشرين

الخوف من الله

نص الحديث السادس والعشرين

قال رجل لم يعمل خيراً قط: فإذا مات فحرقوه، واذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت؟ قال: من خشيتك، وأنت أعلم، فغفر له [رواه البخاري: ٧٥٠٦، ومسلم: ٢٧٥٦].

وفي رواية: كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبيه: إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا ربي خشيتك وفي رواية: مخافتك يا ربي، فغفر له [رواه البخاري: ٣٤٨١، ومسلم: ٢٧٥٦].

وفي رواية: فتلقيه برحمته [رواه البخاري: ٣٤٧٨، ومسلم: ٢٧٥٧].

شرح الحديث السادس والعشرين

هذه القصة من عجائب القصص التي وقعت في الزمن السابق، وهي من الوحي الذي أوحاه الله إلى نبينا ﷺ ما كان يعلمها هو ولا قومه، فأخبره الله بها؛ فقصها نبي الله ﷺ علينا.

وحاصل هذه القصة: أن رجلا من الأمم الماضية أنعم الله عليه بالمال الكثير، وورزقه الأولاد، لكنه لم يشكر ربه على هذه النعم، وأسرف على نفسه بالمعاصي، فلما حضره الموت تذكر حاله مع ربه، وكثرة ذنوبه، وتفريطه في حق الله، فتملكه الخوف الشديد من الله، وعلم أنه متى ما لاقاه فإنه سيعذبه عذاباً شديداً، فهو يعلم تفريطه، ويعلم معصيته، وهو يؤمن بالله، ويؤمن باليوم الآخر، يؤمن بالجزاء والحساب، وأن الله يثيب ويعاقب بعد الموت، لكنه ظن بجهله أنه إذا أحرق سينجو، ولن يعذب؛ لأنه لا شيء، أو لا شخص موجود حتى يعذب، فظن بجهله هذا، وإلا هو مؤمن بالله، ومؤمن باليوم الآخر، ومؤمن بالحساب والجزاء، لكن ظن أن هذا سيجعله يفلت من العقاب، فأوصى أولاده بأن يفعلوا به ما فعلوه بعد موته؛ لأنه قد أخذ عليهم المواثيق.

لكن هذا المسكين غفل أن الله على كل شيء قدير، وأنه إذا أراد أن يبعثه بعثه، وأنه مبعوث لا محالة، حتى لو أحرق **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** [الروم: ٢٧].

فإذن، كل البشر مبعوثين حتى لو غرق الواحد في البحار فأكلته الأسماك، أو احترق بالنار وذهبت به الرياح برماده كل مذهب، أو افترسته السباع ووحوش البراري، وتفرق في أجسادها وأجساد الطير، وحتى لومات وتحلل في التراب، والتراب هذا هبت عليه الريح، وتفرق في الأرض، ولو نبشت تلك القبور وفرقت وبعثت، ولو زرعت

الأرض، ولو غمرتها المياه، ولو حصل فيها خسف أو زلزال، ولو غطتها البحار؛ سيبعثه الله، وهو على ذلك قادر: **وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ** [الشورى: ٢٩]، فالله جمعه أمر الأرض، جمعت ما فيها منه، فقام بين يدي ربه فسأله أولاً: ما هو السبب الذي حمله على صنيعه؟ فقال: يا رب خشيتك، مخافتك، فغفر له، وتلقاه برحمته. إذن، عظمة الله في قدرته على جمع ما تفرق، وما ذهبت به الرياح، وما صار في مياه البحار، والله على كل شيء قدير. ثم إنه أقامه وسأله؛ فأجاب؛ فتلقاه برحمته، هذا يدل على سعة رحمة الله.

لوقال قائل: ما حكم الشك في قدرة الله على البعث؟ نقول: كفر أكبر لا شك، لكن هذا لمن علم، لكن من جهل. فإذا، هذه حالة خاصة حالة الرجل هذا حالة خاصة. وإلا لوقال: قائل ما حكم الذي يشك في قدرة الله على البعث، أويظن أن الله لا يبعث، أو يمكن يبعث ويمكن ما يبعث، فهو كافر لا شك، كفر أكبر.

لكن قد يبلغ الجهل ببعض الناس مبلغاً عظيماً، يعذرهم فيه ربه، فالجهل بتفاصيل اليوم الآخر أو بتفصيلات بعض ما يتعلق بالقدرة الإلهية قد يحصل من بعض الناس، يظنون أشياء، فهو غير هازل ولا ساخر، ولا يطعن في قدرة الله، أو أنه يكفر، أو قامت عليه الحجة وجحد، أو أنه عاند، ليس كذلك، ليس بمعاند، ولا جاحد ولا مكذب

ولا مستهزئ ولا ساخر، هذه حالة خاصة، والإيمان بأن الله على كل شيء قدير، وأن الله يعيد الأموات ويجازيهم، هذا أمر مفروغ منه، هذا من أركان الإيمان، وهذا مما يجب على كل إنسان أن يؤمن به، وأن الله يثيب ويعاقب بعد الموت، هذا الرجل لما حضره الموت وهو لم يعمل خيراً قط المقصود به عمل الجوارح؛ لأن عمل القلب لا بد من وجوده، وإلا لكان كافراً، لو قال: هذا ما عنده شيء من عمل القلب معناها لا يؤمن بالله أصلاً، ولا يؤمن باليوم الآخر، لكن ليس كذلك هذا الشخص عنده عمل القلب، وقول القلب موجود، لكن تقصيره في عمل الجوارح، تقصيره في الواجبات والمحرمات، مع إيمانه بالله وبالجزاء والحساب، وهذا واضح من قوله: "من خشيتك، وأنت تعلم لأن قدر علي ربي ليعذبني".

وفي هذا الحديث: أن الخوف من الله من أسباب المغفرة، وقد غفر الله لهذا الرجل على ذنوبه العظيمة لأجل خوفه من ربه.. فغفر الله له على ماذا؟

وجود أصل الإيمان، وعلى خوفه من الله، يقول الحافظ العراقي -رحمه الله-: في هذا الحديث: فضيلة خوف الله -تعالى- وغلبتها على العبد، وأنها من مقامات الإيمان، وبها انتفع هذا المسرف وحصلت له المغفرة. [طرح التثريب: ٢٦٩/٣].

والخوف من الله عبادة جليلة تحمل صاحبها على طاعة الله واجتناب

معصيته، وقد قال الله: **وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ** الماعراج: [٢٧]، وقال: **الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ** [الأنبياء: ٤٩]، وقال: **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** [الرعد: ٢١]، وقال: **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** [الإسراء: ٥٧]، وقال: **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ** [النازعات: ٤٠]، **فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** [النازعات: ٤١]، وقال: **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ** [الرحمن: ٤٦].

وقال: **عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله** [رواه الترمذي: ١٦٣٩].

الحديث هذا فيه بيان عظيم قدرة الله، وأن بعث الموتى هين يسير على الله؛ كما قال تعالى: **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** [الروم: ٢٧]، وقال: **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** [التغابن: ٧].

وقصة إحياء الموتى لإبراهيم وقال الله له: **ادْعُنِي يَا تُبَّيْنَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** [البقرة: ٢٦٠]، فأخبر تعالى خليله عملياً كيف يحيى الموتى مع أن إبراهيم الخليل يوقن ويؤمن، لكن أراد زيادة الإيمان، وأن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، هو يعلم علم يقينياً، لكن يريد أن يرى بعينه ليزداد إيماناً، وفي هذا طلب المؤمنين الزيادة في مراتب الإيمان والارتقاء إلى مرتبة أعلى، وأن من طموح المؤمن أن يزيد إيمانه،

وهذا من الاستبصار بالله - تعالى - وعظمته وقدرته.

حكم تارك جنس العمل

لوقال قائل: ما حكم تارك جنس العمل؛ الذي لا يعمل أبداً؟

نقول: في شريعتنا تارك العمل بالكلية كافر، ماذا كان في شريعة من قبلنا، هذا الرجل رحمه الله بسبب مخصوص وتجاوز عنه له وضعه الخاص؛ لأنه في بعض الحالات بعض البيئات بعض الأزمان بعض الأماكن قد يبلغ الجهل ببعض الناس مبلغاً عظيماً، يوجد أحياناً عند حديثي العهد بالإسلام ما عنده علم، يعني نعم الآن آمن بالله بتوحيده وباليوم الآخر، لكن ما عنده علم بتفاصيل الأعمال، ففي بعض الناس يمكن ما تبلغهم الأعمال حتى أشياء من العقيدة تخفى عليهم.

إذا خفيت أشياء من العقيدة على واحد، يعني معذور حتى لو أشياء أساسية هب أن شخصاً مثلاً لم يصل إليه وجود الملائكة، ما عرف ما علم هل يقال هذا في النار خالد مخلد؟

لا، لم يبلغه، فلذلك نحن القواعد عندنا واضحة، يعني لا ينجي الإنسان من النار إلا الإيمان بالله، والإيمان معروف، وأركانه ستة، ولا بد من الإيمان بها جميعاً.

وقضية أنه لا بد من العمل، وتارك جنس العمل كافر؛ الذي يترك، ما يعمل أبداً خيراً قط نهائياً، يعني عامداً متعمداً، لكنه ممكن توجد حالات بعض أركان الإيمان تخفى على بعض الناس في بعض الأماكن، وفي بعض الأزمان، أو أن العمل مثلاً يخفى عليه أشياء أو ما يعرف تفاصيل الأعمال، أو.. أو.. هذه حالات خاصة، وهذا الرجل

منها، فلا يمكن يحتج بحديث هذا الرجل واحد كسلان أو لا يريد أن يعمل، ويقول: أنا خلاص يكفيني الإيمان، وأنا خائف من ربي، وما راح أفعل واجبًا، ولا أترك حرامًا، وربّي رحيم، وإذا قدمت عليه سوف يغفر لي كما غفر لهذا الرجل.

نقول: هيهات هذا، ومع ذلك نحن ترى ما نحكم على مصائر العباد أمرهم إلى الله، ما نقول: أنت في الجنة وأنت في النار، أمرهم إلى الله: **فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ** [المؤمنون: ١١٧].

لكن نقول: لا تظن أن هذا ينفعك، هذه الحالة الخاصة أنها تنطبق عليك، وكل واحد كسلان لا يريد العمل، إنا نقول: وهل ستخبر أولادك أن يحرقوك بعد موتك ويبعثوك في البحر؟ فالحايل والمتلاعب معروف، وشأنه مكشوف.

وبعض الناس سمعوا من الخطب، وقرأوا من الكتب، واطلعوا على الشبكات، وسمعوا في القنوات سماعا تقوم به الحجة عليهم، ما في كلام، ما هو مثل واحد في الأدغال، واحد في أدغال أفريقيا، أو ما وصل إليه شيء، أو في عصور ماضية قبل عصر الاتصالات، وقبل عصر الشبكات، وقبل عصر القنوات، ما سمع ما جاءه من نذير، ما جاءه أحد من رسل الرسل ولا من أتباع الرسل، ولا.. ولا.. الوضع مختلف، ومع ذلك الآن نقول: لو وجد واحد، لو وجد ناس قوم في أدغال، في بيئات، في قطب، في مكان ما وصلهم شيء، خلاص لهم الله يحاسبهم حسابًا خاصًا، يختبرهم الله، وأهل الفترة حكمهم معروف، المجنون والذي جاء الإسلام وهو يعني هرم لا يعقل، والذي كان في مكان ما سمع عن رسول ولا عن رسالة، هذا شأنه خاص له رب يحاسبه.



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس السابع والعشرين

اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ

نص الحديث السابع والعشرين

عن عبد الله قال: "اجتمع عند هذا البيت ثقفيان وقرشي -أو قرشيان وثقفي- كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إذا كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله -تعالى-: **وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ** [فصلت: ٢٢-٢٤]

[رواه البخاري: ٤٨١٧، ومسلم: ٢٧٧٥].

وفي رواية فقال: بعضهم لبعض: أترون بضم التاء أن الله يسمع حديثنا، قال بعضهم: يسمع بعضه، وقال: بعضهم لأن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله [رواه البخاري: ٤٨١٦].

شرح الحديث السابع والعشرين

هؤلاء ثلاثة رجال من المشركين أسلم بعضهم بعد ذلك، اجتمعوا عند البيت العتيق وصف اجتماعهم ابن مسعود وصفهم بقلة الفقه؛ لأنهم شبهوا الله بخلقه، من أنه يسمع جهر الأصوات دون سرها، أو يسمع

بعضها دون بعضها، فصدرت منهم تلك المقولة الدالة على قلة الفهم، وأفطنهم وأفقههم من قال: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، لكنه لم يجزم بذلك، يقول: لئن كان، كأنه يستنتج استنتاجاً، يعني لكن ما في جزم، وعلق علم الله -تعالى- بما يخفونه بسمعه إذا جهره، فلم يقطع بأن الله يسمع قولهم، يعني سرّاً وجهرًا، ولهذا وصف بقلة الفقه معهم. كما قال ابن بطال في شرحه، وكذا في "الإفصاح".

والله -تعالى- سميع بصير يسمع جميع الأصوات الظاهرة والباطنة والخفية والجلية، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، وتعدد الحاجات، كما يقف على صعيد عرفة ملايين، ما هي لغاتهم؟ عشرات، أو مئات اللغات، ما هي حاجاتهم؟ كل واحد يسأل، هذا يسأل شفاء مريض، وهذا رحمة ميت، وهذا هداية ضال، وهذا رزقاً، وهذا ولداً، وهذا يسأل زوجة، وهذه... وهذا، كل واحد يسأل منهم عشرات الطلبات، ومع ذلك الله لا تغلطه المسائل، ويعلم كل واحد ماذا يقول، وبلغته، وما هي الطلبات التي يطلبها، ويعطي هذا، ويمنع هذا، ويؤخر هذا، ويعطي هذا خيراً مما سأل، وهذا شرمما استعاذ منه، عظيم، هذا من العظمة الإلهية، فهو الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، والبعيد عنده قريب: **وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى [طه: ٧]**، **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ [الزخرف: ٨٠]**.

وقال سبحانه: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [التوبة: ٧٨].

وقال: أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ، يعني يخفون ما صدورهم من الشحنة والعداوة للنبي ﷺ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يعني يغطون رؤوسهم بثيابهم يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [هود: ٥].

فالله يسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، -سبحانه وتعالى- أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، يعلم السر وأخفى من السر، والسر ما انطوى عليه ضمير العبد، وما خطر به قلبه، ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعد، يعلمه الله، وما سيأتي من الخواطر يعلمها الله، ويعلم أنه سيخطر في بال فلان كذا وكذا في وقت كذا وكذا في حال كذا وكذا. كما ذكر ابن القيم -رحمه الله- في "الوابل الصيب".

فعلمه وسمعه يشمل الإسرار والإعلان: سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ [الرعد: ١٠] من هو مختفٍ في قعر بيته في الليل، ومن هو ظاهر ماشٍ في الطريق في بياض النهار، كلاهما في علم الله سواء، وقد قال الله في كتابه ذكر قصة المجادلة، وقد روتها عائشة -رضي الله عنها- قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة بنت ثعلبة إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها، فكان يخفي على كلامها- لأنها في ناحية البيت في

الطرف،- تستفي النبي ﷺ" تقول: أنا يعني أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه، أنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله: **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** [المجادلة: ١] والحديث قد أخرجه البخاري -رحمه الله- تعليقا، ووصله النسائي، وابن ماجة، وصححه ابن تيمية، وابن الملقن، وابن حجر.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في النونية:

وهو العليم بما يوسوس عبده	في نفسه من غير نطق لسان
بل يستوي في علمه الداني مع ال	قاصي وذو الأسرار والإعلان
وهو العليم بما يكون غدا وما	قد كان والمعلوم في ذا الآن
وبكل شيء لم يكن لو كان كي	ف يكون موجودا لدى الأعيان

[الكافية الشافية، ص: ٣٦].

وقال الله -تعالى-: **وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ** [فصلت: ٢٢-٢٣] ظنكم هذا الظن السوء، وظن الضلال أرداكم فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، بارزه بالكفر، وتكذيب رسله، فيجمعون ويوزعون يوم القيامة، ويرد أولهم على آخرهم ويساقون إلى النار سوقا عنيقا، يوزعون لا يستطيعون امتناعا، ولا ينتصرون يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم،

وكل عضو من أعضائهم ويوبخهم تعالى: وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ

عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَسْتَخْفُونَ مِنَ الْقَبَائِحِ وَلَا تَحَازِرُونَ مِنْهَا، بَلْ كُنْتُمْ

تَجَاهِرُونَ، وَلَا تَبَالُونَ، وَتُظَنُّونَ بِإِقْدَامِكُمْ عَلَى الْمَعَاصِي أَنْ اللَّهَ لَا

يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، هَذَا ظَنُّكُمْ الْفَاسِدَ الْبَاطِلَ صَارَ سَبَبًا

لشِقَائِكُمْ وَهَلَاكِكُمْ، وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ،

أَهْلَكَكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَحَقَّ عَلَيْكُمُ الْخُلُودُ الدَّائِمُ فِي

النَّارِ.

إِذَنْ، هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ يَدُلُّ عَلَى عَظَمِ سَمْعِ اللَّهِ -تعالى- وَإِحَاطَتِهِ أَنَّهُ

رَقِيبٌ عَلَى عِبَادِهِ، شَهِيدٌ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ، وَأَنْ عَلَى

الْعِبَادِ أَنْ يَخْشَوْهُ -سُبْحَانَهُ-.



الآن يبعون

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الثامن والعشرين

لا يعلم الغيب إلا الله

نص الحديث الثامن والعشرين

مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر"

[رواه البخاري: ١٠٣٩].

وفي رواية: مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله

[رواه البخاري: ٤٦٩٧].

وفي رواية: مفتاح الغيب خمس ثم قرأ، يعني النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

[لقمان: ٣٤] [رواه البخاري: ٤٦٩٧].

شرح الحديث الثامن والعشرين

هذا الحديث اشتمل على أصل عظيم من أصول الإيمان وثوابت العقيدة.

هذا حديث يدل على عظمة الله، ومن عظمتته: علمه بالغيب وتفرد

بذلك، استأثر الله به، قهر عباده بعلم الغيب، ما يستطيع أحد يعلم الغيب إلا هو، وبيده خزائنه لا يملكها إلا هو، لا يطلع عليها إلا من شاء، وما في أحد يطلع على كل الغيب أبدًا إلا الله، لا ملك ولا نبي، ما يطلع الغيب إلا الله، يطلع على بعض الغيب من يشاء من خلقه فقط، قال الله -تعالى-: **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ [الأنعام: ٥٩]**، الآن في نقاشاتنا مع الدجالين والعرافين، والذين يدعون علم الغيب والمنجمين وقراء الكف والفتجان، والذين يضربون بالودع، ويخطون في الرمل، وحساب أبعاد، أبجد، والناظرون في كرة الكريستال، إلى آخره، نتناقش معهم ماذا تقول لهم؟

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ [الأنعام: ٥٩]، **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [النمل: ٦٥]**، **لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الكهف: ٢٦]**، **إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ [يونس: ٢٠]**، **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ [الرعد: ٩]**، **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا [الجن: ٢٦-٢٧]**، **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ [آل عمران: ١٧٩]**.

وقد علم الله نبيه ﷺ أن يقول: **وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ [الأعراف: ١٨٨]**، كان تفاديت كل الحوادث وما كان في شيء سبب كل سبب مهلك كان تلافيته، لكن أنا ما أعلم الغيب، يأتي حادث من هنا، سم من هنا، دابة، أفعى، عقرب من

هنا، دابة تقلبه من فوقه، تقلب من على ظهرها، يدق عنقه، عدو يتربص به.

وأمر الله - تعالى - نبيه ﷺ وهو صفوته من خلقه أن يقول: **قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ [الأنعام: ٥٠].**

الجن المؤمنون ماذا قالوا؟

قالوا: **وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا [الجن: ١٠].**

وماذا قال الله في قصة سليمان لما مات: **فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ [سبأ: ١٤] لَكُنْهُمْ يَشْتَغِلُونَ، يَظُنُّونَ سُلَيْمَانَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.**

ولأننا لا نعلم الغيب شرعت لنا الاستخارة، ونحن نقول في دعائها: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ **فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب [رواه البخاري: ٦٣٨٢]** هذه آثار الإيمان بالعظمة الإلهية، وقدرة الله، وعلم الله الغيب.

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بهذا الأصل، وأن يوقن به، ومن اعتقد أنه يعلم، أو أن أحداً غير الله يعلم ما في الغيب، أو ادعى ذلك؛ فقد كفر وضل ضلالاً بعيداً.

ومن يعتقد أن السحرة أو الكهنة أو العرافين أو المنجمين أو آل

البيت أو الأئمة الاثني عشر أو الأولياء أو السادة أو الجن يعلمون الغيب؛ فقد كفر.

فما بالك عندما يقول بعضهم الأئمة: يعلمون ما كان وما يكون وما لو كان كيف سيكون، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنه.

كلام فارغ، سبحان الله، ضلالات، ضلالات متتابعة، شيء مذهل، قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "من ادعى علم الغيب فهو كافر، ومن صدق من يدعي علم الغيب فإنه كافر أيضا؛ لقوله تعالى: **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** [النمل: ٦٥]، لا يعلم الغيب في السماوات والأرض إلا الله، وحده".

شف بعض ضلال الصوفية وصلوا إلى درجة أنه يقول: رح للشيخ واسأله، خله يشف لك ماذا في اللوح المحفوظ؟

ولما واحد راح للشيخ قال له: أنا أبغى أسافر؟ قال: لا، في حادث سيظهر عليك قطاع الطرق، قال: أنا بس مضطربا شيخ أنا لازم أسافر؟ قال له: أنا ما أستطيع أفعل لك شيئا، بس أنا أخبرك، قال: طيب وإذا لازم ولا بد؟ قال: اذهب للشيخ الآخر فلان، واحد رتبة أعلى، يعني راح له قال كذا كذا، قال: خلاص رُح سافر، سافر ورجع ما صار له شيء.

راح للشيخ الأول: شيخ رحتم وسافرت ما حصل لي شيء، ما صار لي شيء؟

قال: أنا عارف، قال: لما قلت لي أول؟ قال: لما أنا حولتك على هذا،

قال: هناك يغير في اللوح المحفوظ، واحنا ما نغير، أنا بس أطلع، أنا بس أشوف، هناك يغير.

والله الواحد يعني هل فيه بشر كذا ممكن؟ يعني تقبل عقولهم يعني؟ أين الدين؟ أين الإيمان؟ أين أركان الإيمان لا يعلم الغيب إلا الله؟ أين.. على اللوح المحفوظ على طول أنت أين أنت في الأرض تحت، وهذا يقرأ، وهذا يغير؟ ماذا أبقيتم لله؟ سبحان الله.

وقد قال النبي ﷺ من أتى عرفاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً [رواه مسلم: ٢٢٣٠]، فإن صدقه، يعني لو سأله لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، ولو سأله وصدقه، يعني في ناس يروحوا للتجربة، يقول: أجرب، ويقول: ما نخسر شيئاً.

تخسر عقيدتك يا مسكين، يقول: ما نخسر شيء، خرينا نسأل ما نخسر شيء، وإذا سأله وصدقه خلاص كفر، خرج من الإسلام، كفر بما أنزل على محمد، قال ﷺ: **من أتى كاهناً أو عرفاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** [رواه أبو داود: ٣٩٠٤، والإمام أحمد: ٩٥٣٦، وغيرهما، وصححه ابن حجر].

والعراف: الذي يستدل على معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المغيبات فهو أعم من الكاهن.

في واحد يدعي علم المستقبل، في واحد يدعي علم الحاضر والمستقبل،

وفي واحد يدعي علم المسروقات والمغيبات.

طبعاً هذه ممكن تكون أهون أن الجن يخبرونه، يرون أشياء يخبرونه عن غيب مضى، عن شيء مضى، أو عن شيء مدفون في مكان الآن، لكن المستقبل ما أحد يعرف نهائياً، يعني إطلاقاً إلا الواحد في المائة من مسترقي السمع التي ينزلون بها إلى الكهان في الأرض، ويخلطون معها تسعة وتسعون كذبة.

والعراف الذي يخبر عما في الضمير أيضاً، يجي يقول: أنت في نفسك كذا، وأنت في نفسك كذا.

والكاهن الذي يخبر عن المغيبات التي في المستقبل. كما في "القول المفيد".

معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله))

وقوله ﷺ: مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله مفتاح الغيب يعني خزائن الغيب جمع مفتاح، وهو المفتاح الذي يفتح به، وهو عبارة عن كل ما يحل مغلقاً كالقفل على البيت.

و"مفتاح" جمع مفتاح، فشبه الأمور المغيبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يدخر بالمخازن، والخزائن المستوثق عليها بأقفال، بحيث لا يعلم ما فيها إلا من بيده مفتاحها أو مفاتيحها، فلا يعلم الغيب إلا من بيده مفتاح أقفاله، وهو الله.

ما وجه كون هذه الخمس هي مفاتيح الغيب؟ وما هي هذه الخمس على التفصيل؟ وما هي أنواع الغيب؟ يعني في عندنا غيب حاضر؟ غيب ماضي حصل: **مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا** [هود: ٤٩]، وغيب حاضر الآن في أعماق المحيطات أشياء وفي المجرات الشمسية تحدث أشياء، غيب حاضر، وفي غيب مستقبلي، سنتعرف على ذلك بمشيئة الله -تعالى- في الدرس القادم.

وصلى الله على نبينا محمد

تمة شرح الحديث الثامن والعشرين

فقد تقدم معنا في هذه السلسلة: الأربعون في عظمة رب العالمين، تقدم الحديث: الثامن والعشرون، وهو حديث النبي ﷺ: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمه إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر [رواه البخاري: ١٠٣٩].

وفي رواية: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله [رواه البخاري: ٤٦٩٧].

وفي رواية: مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ: **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ**

الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان: ٣٤] [رواه البخاري: ٤٦٩٧].

ذكرنا أن هذا الحديث اشتمل على أصل عظيم من أصول الإيمان، وثوابت العقيدة، وهو: أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وعلم الغيب قد استأثر الله به، وبيده - سبحانه - خزائنه، لا يملكها إلا هو، ولا يطلع على ما يشاء منها إلا من يشاء من خلقه.

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بهذا الأصل، ويوقن به، فمن اعتقد أو ادعى أن أحداً غير الله يعلم الغيب فقد كفر وكذب، وضل ضلالاً مبيناً. وقول النبي ﷺ: **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله مفاتيح الغيب، أي خزائنه؛ جمع مفتاح وهو الآلة، أو المفتاح الذي يفتح به، وهو كل ما يحل مغلقاً كالقفل على البيت، والمقصود الخزانة المقفلة.**

والمفاتيح جمع مفاتيح، فشبه الأمور المغيبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يدخر في المخازن والخزائن المستوثق عليها بالأقفال، بحيث لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتيحها، فلا يعلم الغيب إلا من بيده مفاتيح أقفاله، وهو الله [تفسير الطبري، والواحدي، والقرطبي، وفتح الباري، وإرشاد الساري، والتحرير والتنوير].

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في وجه كون هذه الخمس مفاتيح سميت مفاتيح: "لأن كل واحد منها فاتحة لشيء بعده، فالساعة مفتاح

الحياة الآخرة، ونزول الغيث مفتاح حياة الأرض بالنبات، وما في الأرحام مفتاح الوجود في الحياة، وعمل الغد مفتاح عمل المستقبل، وعلم مكان الموت مفتاح الانتقال من الدنيا إلى الآخرة، فلهذا صارت هذه الخمس مفاتيح". [شرح الواسطية].

والغيب: كل ما غاب عن علم الناس بحيث لا سبيل لهم إلى علمه؛ كالملائكة والجن ومواقيت الأشياء المستقبلية ونحو ذلك.

والمعنى أن الله عنده علم الغيب، وبيده وحده خزائنه، والطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو، ولا يطلع عليها إلا من شاء، يطلع على ما يشاء منها من شاء؛ لأنها كلها لا يطلع عليها إلا الله.

والغيب نوعان: واقع، ومستقبل.

فالغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً، ولآخر مجهولاً، ولذلك قد نعلم نحن هنا في هذا المسجد أشياء لا يعلمها ناس في العالم، هذا طبيعي، لكن ممكن بوسائل الاتصالات مثلاً النقل المباشر تُعلم لأناس بعيدين.

وغيب المستقبل هذا لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده، ومن ادّعى علمه فهو كافر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ.

فإذن، عندنا غيب ماضٍ، وغيب حاضر، وغيب مستقبل.

الغيب الماضي في أشياء لا يعلمها إلا الله: مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا [هود: ٤٩]، ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ [آل عمران: ٤٤].

ففي أشياء حدثت في الماضي لكن غاب علمها عن الحاضرين، هذه لا يتفرد الله بعلمها؛ لأنه علمها بعض من مضى، وربما يعلم بعضها بعض من هو موجود.

الغيب الحاضر يعلمه من يعلمه، لكن قد يغيب عن ناس ويعلمه آخرون. والغيب الحاضر يوجد أشياء فيه لا يعلمها البشر، يوجد أماكن في قيعان المحيطات ما مر علمها على أحد من البشر تحدث الآن، أشياء الآن في البحار في باطن الأرض في السماوات ما يعلمها البشر تحدث الآن كذلك الآن في غيب بالنسبة لنا نحن البشر في غيب في عالم الملائكة، وغيب في عالم الجن لا نعلمه، الغيب المستقبلي لا يعلمه أحد إلا الله. فإذا، حتى الغيب الماضي والغيب الحاضر البشر لم يحيطوا بعلمه، لا يحيطون بعلمه، حتى الغيب الماضي والغيب الحاضر يعني هذا دلالة العجز، لكن الغيب المستقبلي هذا لا يمكن، إلا -كما قلنا- من شيء يريده الله فيخبر به الملائكة، أو يأمر به الملائكة، فينقله بعضهم إلى بعض، فيسمعه بعض مسترقي السمع من الجن والشياطين، فيلقونه إلى الكهان في الأرض، فيخلطون مع المعلومة الواحدة الصحيحة تسعة وتسعين كذبة، لكن بعضها لا يتمكن مسترقو السمع من الاستراق، وبعضها يلتقطه، لكن يرسل الله عليه شهاباً فيحرقه قبل أن يبلغه، وبعضها يبلغ الكاهن في الأرض بواسطة هؤلاء الشياطين الذين يركب بعضهم فوق بعض، يحاولون استراق السمع.

فإذن، الغيب المستقبل، الغيب عموماً لا يحيط به إلا الله، وغيب المستقبل أبليغ وأشد، ولذلك حتى كبار الدول وكبار الشركات وكبار الخبراء لو تأتي على قضية المستقبل تقول: ماذا سيحدث غداً؟ ما يعلمون يتوقعون؟ ثم التوقع قد يصح وقد لا يصح، قد يصيب وقد يخيب.

المقصود بقوله: ((خمس))

قوله ﷺ في الحديث: خمس لا يفيد حصر علم الغيب في هذه الخمس، لكن هذه أمهاتها، وذكرت لحاجة الناس إلى معرفة اختصاص الله بها، يعني لو واحد قال: مفاتيح الغيب خمس، هذه هي فقط؟ نقول: لا.

في أشياء من الغيب أخرى غير الخمس، لكن هذه تتعلق بها الناس. [ابن رجب في "فتح الباري"، والعيني في "عمدة القاري"، والقسطلاني في "إرشاد الساري"].

وهذا بدليل أنه ذكر في بعض الروايات مجيء المطر ضمن الخمس، ولم يذكر فيها علم الساعة.

إذن، وعلم الساعة مؤكد أنه منها، هذا مما يدل على أن الله استأثر بالغيب دون خلقه، وأن علم الغيب لا ينحصر في هذه الخمس، وعلمه بعدد خلقه ليس فقط، قال الله -تعالى-: وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام: ٥٩].

كذلك استثناه بعلم أسمائه وصفاته، يعني في حديث: أسألك بكل اسم هولك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ففي أسماء الله لا يعلمها إلا الله، وقد قال الله -تعالى-: **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** [طه: ١١٠].

والنبي ﷺ لما يأتي يوم القيامة في الشفاعة الكبرى، المقام المحمود، ويسجد تحت العرش سجدة طويلة، فيفتح الله عليه من المحامد ما لم يعلمه أحد قط من قبل، يعني أنواع من المحامد والأذكار ما عرفها لا ملك ولا نبي، فيحمده ﷺ بها، أنواع من المحامد، حتى يقول الله: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع [رواه البخاري: ٣٣٤٠، ومسلم: ١٩٤].

مفاتيح الغيب الخمس التي استأثر الله بها

هذه الخمس جاء تفسيرها كما في بعض الروايات في قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** [لقمان: ٣٤].

فهذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بها لا يعلمها أحد إلا إذا أعلمه الله بشيء منها:

أولاً: علم وقت الساعة: هذا مما اختص الله به، لا يطلع على غيبه، ولم يطلع على غيبه عليه أحداً، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب؛ كما قال تعالى: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً** [الأعراف: ١٨٧]، فجأة.

ولما سأل النبي ﷺ جبريل -عليهما السلام- قال: أخبرني عن الساعة؟ قال:

ما المسؤول عنها بأعلم من السائل [رواه البخاري: ٥٠، ومسلم: ٩ و ١٠] هذا

أعظم رسول ملكي جبريل، وهذا أعظم رسول بشري محمد ﷺ، ويقول: ما

المسؤول عنها بأعلم من السائل من باب أولى أن غيرهما لا يعلم.

ثانيا: إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله: فلا يعلم وقت إنزاله من السماء إلا الله،

في أي مكان يكون، ومتى ينزل، وكم القدر والكمية، إلخ... لكن إذا أمر

الملائكة الموكلين بذلك علموه، أنزلوا كذا في مكان كذا، وقت كذا، بمقدار،

ينزل بمقدار، فالملائكة تنفذ، فلما يأمر تعلم، قبل ما تعلم.

ثالثا: ولا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله سواه، لا يعلمه إلا هو،

قبل أن يأمر ملك الأرحام بتخليقه، وكتابته، ما يعلمه أحد، لكن إذا أمر

الملك علمه الملك، والملك يسأل ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فيؤمر بكتب

رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد.

رابعا: لا تدري نفس ماذا تكسب غداً، يعني في دنياها وأخراها.

خامسا: وما تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أو في بلد آخر، في مسقط

رأسه أو بعيداً عنه، في بر في بحر في جو، قد يموت في الجو، لا علم لأحد

بذلك إلا الله.

المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يعلم أحد ما يكون في غد))

وقوله ﷺ: لا يعلم أحد ما يكون في غد يعني من خير أو شر، من حرب أو

سلم، زلزال، بركان، لا يعلم ما ينطوي عليه الغد من خير أو شر إلا الله.

ويدخل في هذا علم وقت الساعة، وقد قالت عائشة -رضي الله عنها- أم المؤمنين: "من زعم أن محمداً ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية"، والله يقول: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [النمل: ٦٥] [رواه مسلم: ١٧٧].

ولما دخل النبي ﷺ على الربيع بنت معوذ -رضي الله عنها- غداة بُني عليها، وكان عندها جوهرات يضربن بالدف، بنات صغيرات يضربن بالدف بمناسبة الزفاف، وكن يندبن من قُتل من آبائهن يوم بدر، فقالت جارية يعني فتاة صغيرة منهن: وفينا نبي يعلم ما في غد.

فقال النبي ﷺ: لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين [رواه البخاري: ٤٠٠١].
قولي الكلام الأول، هذه العبارة، هذه الجملة، لا.
فمنعها النبي ﷺ من القول الباطل؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وما رضي النبي ﷺ أن تقول جارية في نشيدها:
وفينا نبي يعلم ما في غد
لأنه لا يعلم الغيب إلا الله. [مرقاة المفاتيح].

قوله عليه الصلاة والسلام: ((ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام))
وقوله ﷺ: ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، وفي رواية: ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله هذا كما قال تعالى: اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ

الْمُتَعَالِ [الرعد: ٨-٩] فقد أحاط الله بكل شيء علماً، ومن ذلك إحاطته بما تحمله الحوامل من البشر من الإنس، من الجن، من الحيوان؛ كما قال تعالى: **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ** [لقمان: ٣٤]، فيعلم ما حملت من ذكر أو أنثى، تام أو ناقص، حسن أو قبيح، أبيض أو أسود، أحمر أو أصفر، سعيد شقي، طويل قصير، كيف رزقه، كيف عمله؟ واحد أو توأم، أو أكثر، قال تعالى: **هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** [النجم: ٣٢].

وجاء في الحديث الصحيح: وكل الله بالرحم ملكا، فيقول: **أي رب نطفة؟ أي رب علقة؟ أي رب مضغة؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه** [رواه البخاري: ٣١٨، ومسلم: ٢٦٤٦].

كم جنين تحمل به الإناث في العالم يومياً؟ لحظيا هذه اللحظة كم واحدة حملت في بطنها جنينا من إنسان أو حيوان؟ سبحان الله، كل هذا الملك يعني يستخبر ويسأل ربه، وربّه يخبره، ويأمره، هذا من العظمة الإلهية: أن الله يعلم المستقبل، ويتفرد بعلمه، ويعلم ما يكون، ويأمر الملائكة وبالكتاب، وكم جنين من البشر؟ كم جنين من الحيوان في لحظة؟ في هذه اللحظة كم؟ واللحظة التي بعدها؟ واللحظة التي بعدها؟

شيء مهول، هذا لو فكر هؤلاء يعني -سبحان الله- لو فكر أعداء الله ومن

يعصونه، لو بس فكروا يعني هذه العظمة، هذا سعة العلم، هذه القدرة الإلهية العظيمة، يعني هذا شيء مذهل.

قوله: ((وما تغيض الأرحام وما تزداد))

قوله: وما تغيض الأرحام أي تنقص مما فيها إما أن يهلك الحمل، أو يسقط إجهاض، أو يتضاءل، أو يضمحل، أو يكون ناقصًا، أو يقولون: الرأس ما فيه دماغ.

وما تزداد أي الأرحام، وتكبر الأجنة التي فيها أو يتم خلقها.

وقيل: الغيض ما تغيض الأرحام ما ينقص حملها عن تسعة أشهر، ممكن يولد قبل التسعة بيوم يومين، أسبوع عشرة أيام، يمكن سبعة أشهر، وقد يكون لسته نادرًا.

والزيادة زيادتها عليه، كما يقولون مثلاً الآن البنت أول ما تحمل المرأة في أول حملها أول ولد لها يكون يتعدى التسعة غالبًا، يعني يزيد عن تسعة أشهر بضعة أيام.

سبحان الله.

وقيل: النقصان، السقط، والزيادة تمام الخلق.

وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ [الرعد: ٨] فلا يتقدم عليه ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص. [تفسير البغوي، وابن كثير، والشوكاني في "فتح القدير"، والسعدي في تفسيره].

فإن قال قائل: فما بال الكشف عن الأجنة الآن بحسب العلم الحديث

بالسونار؟ هذه والأشعة المقطعية وغيرها والموجات الصوتية ألا يعلمون ما فيها؟ ألا يعلمون أذكر أم أنثى؟ ألا يعلمون في جنين أولاً؟ ألا يعلمون هل في نقص أم لا؟ فهل يتعارض هذا مع الآية والحديث؟

الجواب: لا تعارض البتة، فإن الله قال: **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ** [لقمان: ٣٤]، "ما" عامة تشمل كل شيء.

فنقول: أيها الطب الحديث هل تعلم ما في الرحم قبل أن يخلق أم بعده؟ الله يعلمه قبل، هل علمت مثل الله؟

لا، إذا علمت هل تعلم قطعياً أو يوجد نسبة خطأ؟

سبحان الله، يعني عدة قصص، قالوا لها: بنت، راحت أعدت ملابس زهرية اللون، طلع صبي.

قالوا: ذكر، أعدت ملابس زرقاء، طلعت أنثى.

قالوا: واحد، طلع اثنين، كان في أول واحد متخبي وراء الثاني، والأشعة ما شافته.

طيب الله ما عنده نسبة خطأ ولا خطأ.

ثم هل أنتم تعلمون أنه سيحدث إجهاض أو سينزل سليماً؟

ما تعلمون، هل تحصل لكم مفاجآت؟ نعم.

هل تحصل عندكم أخطاء في تعيين وقت الولادة؟ نعم.

ولو علمتم كل هذا هل تعلمون أنه شقي أو سعيد؟ لا.

هل تعلمون ما هو عمله بعد أن يولد ويكبر؟ لا.

هل تعلمون كم عمره؟ لا.

هل تعلمون رزقه؟ لا.

إذن، يعني أنتم تتباهون بماذا؟

بشيء من العلم، يعني علمكم الله إياه: **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**

[العلق: ٥].

خلاص طفيتم، صار عندكم طغيانا، تظنون علمتم كل شيء؟ أين علمكم به قبل أن يوجد؟ قبل الزواج؟ تعلمون ماذا في بطن المرأة هذه؟ ماذا سيوجد ولو تزوجت؟ لا.

يقولون: لا نعلم، نحن لا يمكن أن نعرف إلا بعد مرحلة معينة، وترى عندنا نسبة خطأ، وترى ما نعرف بعدين يسلم يجهض، يتم كذا، وعندنا نسبة خطأ في تحديد الموعد، وعندنا، ولا نعرف رزقه، ولا أجله، ولا عمله، ولا شقي أو سعيد؟

إيه نقول: لما يقول الله: **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ**، يعني: يعلم هذا كله، لا تجي تقول: والله بس العلم الحديث عرف أنه في ذكر، هو يقول: يعلم ما في الأرحام، "ما" تشمل كل هذه المعلومات، تستطيع أن تأتون بها أيها العلم الحديث، أيها الطب الحديث؟ لا.

ثم هذا الطب الحديث -كما قلنا- لا يعلم إلا بعد مدة معينة، فلما يصبح في عالم الشهادة يصير منظورا، يمكن رؤيته، يرونه، أما قبل لما كان في عالم الغيب ما يعرفونه ولا يرونه.

قوله صلى الله عليه وسلم: ((ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً))

وقوله ﷺ: ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً يعني في المستقبل، فلا تدري نفس ماذا تكسب من خير أو شر، قد تموت قبل غد، أو يأتي الغد وتمنع من العمل، الإنسان لا يعلم ماذا يكسب يقيناً في غده يتوقع، لكن لا يستطيع أن يجزم، لا يعلم جزمًا وقطعًا إلا الله.

قوله عليه الصلاة والسلام: ((وما تدري نفس بأي أرض تموت))

وقوله ﷺ: وما تدري نفس بأي أرض تموت كما لا تدري في أي وقت تموت، لا تدري في أي مكان تموت، هل يموت في مسقط رأسه وإلا بعيد عن ذلك، أو في مكان بعيد عن ذلك أو قريب من ذلك، أو يموت في البر أو البحر، أو الجو، لا يعلم ذلك إلا الله.

وإذا أراد الله أن يقبض عبداً بأرض جعل له إليه حاجة كما جاء في الحديث، فيذهب لحاجته ولا يدري أنه سيموت.

والحيوان كالبعير ينشأ في جهة من جهات الأرض ثم يكبر ثم يستعمل للركوب وغيره ثم يذبح في بلاد بعيدة، وقد تشحن الخراف من أستراليا لتذبح في هذه البلاد، فتخلق في مكان، وتذبح في مكان.

وإذا كان الإنسان عمومًا لا يدري مكان الموت، والنفوس كلها لا تدري في أي مكان تموت، ولا بأي أرض تموت، فإنها لا تدري كذلك، لا من جهة الزمان، ولا من جهة المكان، وجهالة الزمان أشد من جهالة المكان.

المكان قد تنتقل أنت من أرض إلى أرض، الزمن يمضي رغمًا عنك، لا يعلم

أحد متى يموت، ولا بأي أرض يموت، قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله:-
 "حدثني أحد إخواني الثقات أنهم كانوا في سفر الحج على الإبل، وكان
 معهم رجل من القصيم معه أمه يمرضها، فتأخر عن القوم في آخر الليل؛
 فارتحل الناس ومشوا وبقي مع أمه يمرضها، ولما أصبح وسار خلف القوم
 لم يدركهم، ولم يدر إلى أين اتجهوا لأنهم في مكة.

يقول: فسلك طريقًا بين هذه الجبال، فإذا هو واقف على بيت من الشَّعْر
 فيه عدد من الناس قليلين، فسألهم أين طريق نجد؟ قالوا: أنت بعيد عن
 الطريق، لكن نُوْخ البعير واجلس استرح ثم نحن نُوصِّلُكَ، يقول: فنزل نُوْخ
 البعير وأنزل أمه، يقول: فما هي إلا أن اضطجعت على هذه الأرض فقبَّض
 الله روحها، كيف جاءت من القصيم إلى مكة مع الحجاج، وأراد الله أن
 يتيه هذا الرجل حتى ينزل بهذا المكان، لا يعلم هذا إلا الله.

قيل: إن الخليفة المنصور اهتم بمعرفة مدة عمره، فرأى في منامه كأن
 خيالاً أخرج يده من البحر، وأشار إليه بالأصابع الخمس، فاستفتى
 المعبرين فمَنهم من تأول له بخمس سنين، ومنهم من تأول له بخمسة
 أشهر، وبغير ذلك، كل واحد يقول له: هذه معناها كذا، معناها أنك تعيش
 خمسة أشهر، تعيش خمس سنين، تعيش كذا، حتى قال أبو حنيفة -رحمه
 الله- لما سأله تأويلها: أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، خلاص أنزل
 يدك لا سبيل لك إلى ذلك.

وصح عن خيثمة بن عبد الرحمن وهو من ثقات التابعين لكن الرواية هذه

ليس لها حكم الرفع؛ لأنه ليس صحابيًا، وأجدر به أن تكون من الإسرائيليات، وحدثوا عن بني إسرائيل ما لم يكن منكراً أو باطلاً، قال: روي أن ملك الموت دخل إلى سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه؛ يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إليّ كأنه يريدني! قال: فما تريد؟ قال: أريد أن تحملني الريح، فتلقيني بالهند! قال: فدعا بالريح، فحمله عليها، فألقته بالهند. ثم أتى ملك الموت سليمان فقال: إنك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائي؟ قال: كنت أعجب منه؛ إني أمرت أن أقبض روحه بالهند، وهو عندك "هذا في" [مصنف ابن أبي شيبة] و"حلية الأولياء: ٤/ ١١٨].

قوله صلى الله عليه وسلم: ((وما يدري أحد متى يجي المطر))

وقوله ﷺ: وما يدري أحد متى يجيء المطر [رواه البخاري: ١٠٣٩].

وفي رواية: ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله [رواه البخاري: ٤٦٩٧]، فالذي ينزل المطر الله لا يعلم متى يأتي، والكمية، والمقدار، ومكان النزول، ومتى ينزل، وكم يستمر، والغزارة، وماذا يصيب من الأرض، وإلى أين سيذهب إذا نزل، وكم الأرض ستأخذ منه، وكم يتخبر، وكم يذهب في مسایل الماء إلى البساتين، أو إلى غيرها، هذا من علم الله.

طيب ومعرفة أحوال الطقس ونزول الأمطار، وهبوب الرياح، وإلخ...، والحرارة..

نقول: هذا ليس من التنجيم، ولا ادعاء علم الغيب، وإنما هذه دراسات

مبنية على أمور حسية، وتجارب ونتائج أجهزة وقياسات؛ سرعة الرياح، نوعية السحاب، ونحو ذلك.

وبالتجربة والعادة والخبرة السابقة يخبرون بأشياء، ثم قد تصيب وقد تخيب، يقولون أمطار يمكن ما ينزل شيء، يقولون: غزيرة، يمكن ما تكون غزيرة.

قوله عليه الصلاة والسلام: ((ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله))

وقوله ﷺ: ((ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)).

كثير من الناس صار الشغل الشاغل لهم نهاية العالم وقت كذا، وقت كذا، ومؤلفات ومقالات ومقاطع عربية وأجنبية ووكالات أنباء عالمية تنقل، شف مثلاً في عام ٢٠١٢ كان الملايين يتوقعون نهاية العالم في واحد وعشرين ديسمبر، وفي خمس دول بأمريكا الجنوبية احتفالات غير مسبوقة، ابتداء من يوم الجمعة ولمدة ثلاثة أيام ارتقاباً لنهاية العالم، وما صار شيء، وكلام كم مرة قالوا سيرتطم بالأرض جسم صلب سيقطب الأرض رأساً على عقب، وسيكون فيها نهاية البشر، وسوا استبيانات واستفتاءات ودراسات، قالوا: عشرين في المائة من سكان الولايات المتحدة يؤمنون بذلك، الله قال: **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ [الأحزاب: ٦٣]**، وقال: **إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا [النازعات: ٤٤]**، **لَا يُجَلِّمُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ [الأعراف: ١٨٧]**، **لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً [الأعراف: ١٨٧]**، **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ**

السَّاعَةِ [لقمان: ٣٤]، وقول النبي ﷺ: **ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا**

الله فمن زعم أن الساعة تقوم يوم كذا، سنة كذا، حدد العدد، نحن نعلم أنها تقوم يوم الجمعة صباحًا، هذه أكيدة ما فيها يعني يوم الجمعة صباحًا يعني الساعة، لن تقوم يوم السبت، ولا الأحد، يوم الجمعة صباحًا، لكن أي جمعة؟ من أي أسبوع؟ من أي شهر؟ من أي سنة؟ لا يعلم أحد إلا الله.

والمطلوب بدلاً من الانشغال بمحاولة تحديد وقت قيام الساعة الانشغال بالعمل لها: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا** [النازعات: ٤٥].

ولما سأل رجل النبي ﷺ: متى الساعة؟ أجابه بسؤال قال: وما أعددت لها؟ هذا المهم ما أعددت لها؟ [رواه البخاري: ٦١٧١، ومسلم: ٢٦٣٩].

بل إن النبي ﷺ قال حاثًا على العمل: **إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة النخلة الصغيرة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفع**

[رواه أحمد: ١٢٩٨١، والبخاري في الأدب المفرد: ٤٧٩، وهو حديث صحيح].



الآن يبعون

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظِيمُ الْعَالَمِينَ

الدرس التاسع والعشرين

الملائكة من عظيم خلق الله

نص الحديث التاسع والعشرين

قال ﷺ: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء وحُق لها أن تتطأطط من عظمة رب العالمين أظت السماء أظت أطيطا وحق لها أن تتطأ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله [رواه الترمذي: ٢٣١٢، وابن ماجه: ٤١٩٠، وصححه الحاكم: ٣٩٣١، وحسنه الألباني].

شرح الحديث التاسع والعشرين

لا يعلم جنود الله إلا الله: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ [المدثر: ٣١]، والملائكة خلق كثير، وقد قال النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء: فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل طبعاً البيت المعمور هذا في السماء مسامت للبيت الحرام في الأرض، يعني ولو وقع يقع عليه، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه [رواه البخاري: ٣٢٠٧، ومسلم: ١٦٤] يعني ثاني يوم يدخل سبعون ألف جدد، ثالث يوم يدخل سبعون ألف جدد، كل يوم يدخل سبعون ألف ملك كم يوم هذا مضى من الدنيا؟ كم عدد الملائكة؟ هذا خلق الله، جنود العظيم -سبحانه-.

والنبي ﷺ وحي يوحى، يرى ما لا نرى، ويسمع ما لا نسمع.

ومعنى قوله ﷺ: أظن السماء يعني صاحبة وصوتت من ثقل ما عليها وما فيها من الملائكة، وتحقيق بها أن تفعل؛ لكثرة ما فيها من الساجدين العابدين الخاضعين لله من ملائكته، لا يفترون عن عبادته، ولا يسأمون.

السماء مسكن الملائكة، كما أن الأرض مسكن البشر، لكن أرواح البشر ترجع إلى السماء، والملائكة تنزل إلى الأرض.

الملائكة لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحریم: ٦] في عبادة دائمة خاشعين لله معظمين له: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ [الأعراف: ٢٠٦]، وقال: وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ [الأنبياء: ١٩] يعني: لا يتعبون ولا يملون، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ [الأنبياء: ٢٠] لا يضعفون من الفتور، ما يفتر الملك، قال تعالى: فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ [فصلت: ٣٨].

فأخبرنا ﷺ أنه ما من موضع في السماوات السبع إلا ومشغول بالملائكة، يتعبدون لربهم تعظيمًا لجلاله، وأداء لحقه، وانقيادًا لأمره، وهم في صنوف من العبادة؛ منهم من هو قائم أبدًا، ومنهم من هو راکع أبدًا، ومنهم من هو ساجد أبدًا، ومنهم في صنوف آخر لا يعلمها إلا الله، وهم دائمي عبادتهم وتسبيحهم وأذكارهم وأعمالهم التي أمرهم الله بها، ولهم منازل عند ربهم كما قالت الملائكة: وَمَا مِنَّا

إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ [الصفات: ١٦٤]، وأعلامهم مقاما جبريل قال تعالى عنهم: **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** [الصفات: ١٦٥-١٦٦].

إذن، ما في ملك إلا له موضع مخصوص في السماوات، ومقامات في العبادة يقوم بها، **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** [الصفات: ١٦٥] صفوفًا في العبادة، ألا ترى أو ألا تسمع ما قال ﷺ: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف [رواه مسلم: ٤٣٠] ما يمكن يبدوون بصف وقبلة صف ناقص، يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف.

قال تعالى عنهم مقسمًا بهم: **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا** [الصفات: ١]. [كما في البغوي والقرطبي وابن كثير].

وقد قال ابن مسعود: "إن من السماوات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائمًا" يعني لله، ثم قرأ: **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** [الصفات: ١٦٥-١٦٦]. [تفسير الطبري وابن كثير].

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "ما في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح".

إذن، هذا العظيم سبحانه وهذه ملائكته، وهذه عبادتهم يعظمونه، أفلا ينبغي علينا نحن أن نعظمه؟ وأن نعرف من عظمته ما يدفعنا إلى عبادته وخشيته؟



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظِيمُ الْعَالَمِينَ

الدرس الثلاثين

الركوع من مظاهر تعظيم الله



نص الحديث الثلاثين

كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة [رواه أبو داود: ٨٧٣، والنسائي: ١١٣٢، وصححه النووي: وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار].

عن عوف بن مالك الأشجعي: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بأية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بأية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت.

شرح الحديث الثلاثين

إذن، هذا من أذكار الركوع في قيام الليل سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة أربعة.

طبعاً مناسبته قوله: والعظمة هذا ذكر عظيم من الأذكار كان النبي ﷺ يكرره كثيراً في قيام الليل في ركوعه وفي سجوده ولو قام بقدر سورة البقرة كرره بقدر سورة البقرة، مع أنه كان لا يمر بأية رحمة إلا سأل، ولا أية عذاب إلا تعوذ، فكم صار طول القيام؟ فكم صار طول الركوع والسجود؟ فكم مرة ردد هذا الذكر سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة؟

قال ﷺ: أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن يعني: حقيق وجدير أن يستجاب لكم [رواه مسلم: ٤٧٩].

إذا ركع المصلي لله وانحنى ذليلاً لربه، ولعزة الله متواضعاً متذكراً كبريائه، فإنه يذكر في هذه الحال هذا الذكر، يقول: سبحان ربي العظيم.

نعم أنزه الله عن كل نقص وعيب لا يليق بكماله وجلاله. أنزه الله عن الجهل والعجز والتعب والإعياء والولد والزوجة. وفي حال ذل العبد وخضوعه وانحنائه في الركوع، وقد انخفض وطأ رأسه وطوى ظهره، وربه فوقه يرى خضوعه وذله ويسمع كلامه، وهو يقول هذا الذكر. [هذا بعضه من كلام ابن القيم في "شفاء العليل"].

وكان النبي ﷺ يقول في الركوع أيضاً اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي [رواه مسلم: ٧٧١].

لكن لا يمتنع الدعاء في الركوع بما ورد كما لا يمتنع التعظيم في السجود بما ورد، وإن كان أكثر الركوع تعظيم وأكثر السجود دعاء. كما ذكر ابن دقيق العيد في "إحكام الأحكام" وكما في "فتح الباري". وقد ثبت عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم

اللهم اغفر لي [رواه البخاري: ٨١٧، ومسلم: ٤٨٤].

فهذا دعاء كان يدعو به النبي ﷺ في ركوعه مع التسبيح سبحانه
اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي اللهم اغفر لي دعاء، لكن هذا بالنسبة
للتسبيحات أقل في الركوع، والنبي ﷺ كذلك كان يقول في ركوعه
وسجوده: **سبوحٌ يعني مبرا من النقائص والعيوب والشريك قدوسٌ**
مبارك طاهر من كل عيب رب الملائكة والروح [رواه مسلم: ٤٨٧].

وكان ﷺ يقول في سجوده أيضاً: **اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك**
أسلمت، سجدت وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره،
تبارك الله أحسن الخالقين [رواه مسلم: ٧٧١].

وهذا تعظيم كان يقوله في سجوده؛ فالركوع هو محل التعظيم، وهو
والسجود حالتا ذل وخضوع وانخفاض، ولذلك كان النبي ﷺ يقول
فيهما: **سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة**
سبحان: تسبيح وتنزيه وتقديس، وتبرئة من النقائص، أنزه الله عن
كل نقص وعيب.

ذي الجبروت يعني: من الجبر والقهر.

والملكوت مأخوذ من الملك مثل الرهبة والرهبت، والرحمة
والرحموت، وهي بمعنى واحد، فالملك والملكوت معناها واحد، والجبر
والجبروت معناها واحد، لكن زيادة الواو والتاء تفيد المبالغة،
ملكوت جبروت رحموت، فالمعنى صاحب الجبر والقهر العظيم،
وصاحب الملك العظيم ظاهراً وباطناً. كما أفاد الطبري وابن أثير في

"النهاية" والقرطبي وابن كثير.

فَاللَّهُ -تعالى- هُوَ الْجَبَّارُ: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ [الحشر: ٢٣].

"الجبار" لها ثلاثة معان: إما تكون بمعنى الرؤوف، وإما بمعنى
القهار، وإما بمعنى العلي.

أما الجبار بمعنى الرؤوف، يعني جبار القلوب المنكسرة، جابر القلوب
المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه، يجبر ضعفه
وكسره ومصابه، ويجبر قلوب المحبين له، الخاضعين لعظمته بما
يفيض عليهم من كراماته وبركته.

ثانيا: بمعنى القهار، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء، هذا
الجبار بمعنى القهار، قال قتادة: جبر خلقه على ما يشاء من أمره.

ثالثا: الجبار، بمعنى العلي الأعلى، فهو أعلى من كل شيء.
وقد يراد به معنى رابعا وهو: المتكبر عن كل سوء ونقص وعن مماثلة
أحد، وعن أن يكون له كفو أو ضد أو سمي أو شريك في خصائصه
وحقوقه. كما في "شأن الدعاء" للخطابي، و"شفاء العليل"،
و"تفسير أسماء الله الحسنى" للسعدي.

ونختم الآن بأبيات ابن القيم -رحمه الله-، ونواصل معكم -إن شاء الله- في الدرس القادم، قال رحمه الله في "النونية":

وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه نوعان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من إنسان

وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنومنه من إنسان

[الكافية الشافية، ص: ٢٠٩]

وقال:

سبحان ذي الجبروت والملكوت والـ إجلال والإكرام والسبحان

[الكافية الشافية، ص: ٣١٢].

وصلى الله على نبينا محمد